عطاء المعطي
في
شرح مقدمة نظم العمريطي

بقلم

محمد فجر صادق

طالب المعهد الاسلامي راعية المجاهدين

فولوتيكا سوكاتاني سوكاهوريف   بيكاسي

غفر الله له ولوالديه ونفعه بعلوم مشايخه ورحمهم رحمة واسعة

الطبعة الاولى

التمهيد

محمد عبد العزيز نووي.Ph.D.ED,.C.TM,.C.AR,.CPSA,.CH., C.SHNI.,CT. NNLP,. C.STMI., M.Pd,.S.Pd,I,
(cand) EM الرئيس العام للمنظمة المسماة : (santri mendunia)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

اما بعد فلما كان نظم العمريطي قد اشتهر بين متعلمي النحو في اقطارالارض شرقا وغربا ولا سيما في المعاهد الاسلامية في اندونسي وقد اعتبر من كتب النحو الرائعة بينهم وذلك كما يظهر في كثير من المعاهد الاسلامية حيث قرر هذا الكتاب ككتاب اساسي في دراسة النحو , وكانت مقدمة هذا النظم لم يوجد شرحها بشكل خاص لان الشروح السابقة شرحتها بشكل مختصر فقام الاخ محمد فجر صادق - وهو طالب من طلاب المعهد الاسلامي راعية المجاهد - بشرحها بشكل خاص مطول وهو سمّى هذا الشرح باسم " عطاء المعطي في شرح مقدمة العمريطي " , ومن خلال هذا الشرح الممتع سيدعونا الاخ محمد فجر صادق الى استكشاف المعاني الموجودة فيه ويبين لنا نتائج دراسته .

فأرحب بهذه الفرصة وأعرب عن تقديري لجهود الاخ محمد فجر صادق في اجراء دراسته لشرح مقدمة نظم العمريطي فأرجو ان يستمرّ الاخ محمد فجر في دراسة كتب العلماء الاسلامية , سر ولا تقف , وان يكون هذا الشرح نافعا له ولكل من درسه

*جاكرتا 21 فبراير 2024

محمد عبد العزيز نووي.Ph.D.ED,.C.TM,.C.AR,.CPSA,.CH., C.SHNI.,CT. NNLP,. C.STMI., M.Pd,.S.Pd,I,
(cand) EM الرئيس العام للمنظمة المسماة : (santri mendunia)

ترجمة الامام العلامة الفقيه الناظم

شرف الدين يحيى بن موسى العمريطي

رحمه الله ونفعنا بعلومه في الدارين

اسمه ونسبه رحمه الله : هو شرف الدين ابو الخير يحيى بن نور الدين موسى بن رمضان بن عميرة العمريطي الشافعي الانصاري الازهري كذا ذكر الشيخ خير الدين الزركالي في " الاعلام " , شرف الدين لقبه , وابو الخير كنيته , ويحيى اسمه , والعمريط بفتح العين وكسرها نسبة لقرية من اعمال بلبيس من نواحي الشرقية بمصر

مؤلفاته رحمه الله : اشتهر رحمه الله تعالى بمنظوماته المحكمة على بعض المتون العلمية لتسهيل حفظها : فخلّف في علم الاصول : (تسهيل الطرقات في نظم الورقات) ارّخ رحمه الله لنظمه فقال فيه :

وتم نظم هذه المقدمة ابياتها في العدّ در محكمة

في عام طاء ثم ظاء ثم فا ثاني ربيع شهر وضع المصطفى

قال الشيخ محمد بن علي الفضلي البعداني في شرحه لنظم الورقات : الطاء رقمه تسعة , والظاء رقمه تسعمائة والفاء رقمه ثمانون فيكون انتهى من نظم هذه المقدمة في عام تسعة وثمانين وتسعمائة من الهجرة النبوية ثم ذكر تاريخ الشهر ثاني ربيع شهر وضع المصطفى اي اليوم الثاني من شهر ربيع الاول

وفي فقه السادة الشافعية : (نهاية التدريب في نظم غاية التقريب) ولم يشر رحمه الله لتاريخ نظمه

و (التيسير في نظم التحرير) ارّخ رحمه الله لاتمامه فقال فيه :

وختمها في عاشر الايام من رجب في ثامن الاعوام

بعد الثمانين من السنين بعد انتهاء تاسع القرون

قال الشيخ عبد الله حجازي في " فتح القدير الخبير شرح نظم التيسير " : اي كان ختمها في اليوم العاشر من شهر رجب الحرام في سنة ثمان وثمانين وتسعمائة . انتهى

وفي النحو : (نظم الاجرومية) واسمه : (الدرة البهية) ارّخ رحمه الله لاتمامه فقال فيه :

وفي جمادى السادس السبعين　　　بعد انتهاء تسع من السنين

قد تم نظم هذه المقدمة　　　في ربع الف كافيا من أحكمه

قال شيخ الاسلام ابراهيم البيجوري في " فتح رب البرية " : في شهر جمادى من سنة سبعين وتسعمائة من الهجرة الشريفة

ثناء العلماء عليه : قال الشيخ المحقق قاسم النوري في " تهذيب تحفة الحبيب " : فحقا أنه افاد بجميع منظوماته طلاب العلم الشرعي , فسهّل عليهم استحضار العلوم , وذلّل لهم عباراتهم فكان بنظمه كما قيل في المثل : (عمله عمل من طب لمن حب) فنهل طلاب العلم من علومه , ثم قام جماعة من العلماء بشرح هذه الكتب وبيان دقائقها ليعظم نفعها , وكان ذلك ابان حياته فجزاه الله تعالى عن المسلمين والمنتفعين به خير الجزاء , وهو القائل - حقق الله مراده - في نظمه " نهاية التدريب " :

أرجو بذاك اعظم الثواب # والنفع في الدارين بالكتاب

قال الشيخ العلامة عبد الحمديد في " لطائف الاشارات في شرح تسهيل الطرقات في نظم الورقات " : كان الناظم رحمه الله أية في النظم كم الّف فيه واحكم , ونظمه عذب عليه طلاؤه , وجزل فيه حلاؤه , وسهل المبني ظاهر المعنى . انتهى

قال الشيخ العلامة احمد بن حجازي الفشني في " تحفة الحبيب بشرح نهاية التدريب في نظم التقريب " : لما كان رحمه الله في اعلى درجات البلاغة ساميا ولأسنى طبقات الفصاحة راقيا سألني بعض الاخوان المخلصين والاعزة المخلصين أن أشرحه شرحا لطيفا يحل ألفاظه ويبين مراده مع علمه أني لست من اهل ذلك الشأن ولا من سباق ذلك الميدان فأجبته الى ذلك قاصدا به الاجر والثواب .....الخ

وقال ايضا في " القلادة الجوهرية " : لما كانت الدرة البهية نظم الاجرومية للشيخ الامام العلامة الفقيه البارع الفاضل النحوي الحاسب الفرضي سيدنا وشيخنا شرف الدين يحيى العمريطي الانصاري الشافعي امام المدرسة المؤيدية ذي المفاخر السنية نظر الله اليه بعين العناية وعز الرعاية روضة قد تضوع نشرها وخزانة علم مشتملة على عرائيس من نفائس النحو عظيم قدرها ... الخ

ومن العجبيب أن كتب التواريخ لا تعطينا ترجمة وافية عن هذا الامام الناظم الذي اشتهرت منظوماته ولذا قال الشيخ المحقق قاسم النوري في " تهذيب تحفة الحبيب " : هذا واني لم اقف على تاريخ لمولده , ولا لمدة حياته , ولا لوفاته ولا لمعرفة شيوخه وتلاميذه ولعل هذا يدل على انطواءه , والظاهر كما نقل مترجموه ان وفاته رحمه الله بعد عام تسع وثمانين وتسعمائة للهجرة لما اشار به لاتمام نظم تسهيل الطرقات السالف الذكر , رحمه الله رحمة واسعة .

قلت : وانما ذكرت ترجمته هنا لتعرف جلالته في العلم ليحسن الاعتقاد فيه فيكون ادعى لقبول علمه والاجتهاد في تحصيله اذ المجهول مرغوب عنه , ولانه لو لم يصف الطبيب ودواءه للمريض لم ينتفع به لعدم حسن الاعتقاد فيه

وأخيرا لا يسعني الا أن أتوجه بخالص شكري لكل من قدّم الدعم لي ولكل من كانت له يد في اتقان هذا العمل فجزاه الله افضل الجزاء .

بقلم

محمد فجر صادق

مقدمة الشرح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي قد صرّف قلوب عباده الى نحوه والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم افصح خلقه وعلى ألِه وأصحابه متقني كتابه

اما بعد : فقد خطر ببالي امر جليل وهو ان اكتب شرحا على مقدمة نظم العمريطي ولكني قد ترددت في اول الامر لعلمي اني لست اهلا لذلك ثم لما انشرح صدري واطمأن قلبي وركن اليه شرعت في جمعه مستعينا بالله الوهاب وملتمسا منه التوفيق للصواب وسميته : (عطاء المعطي في شرح مقدمة نظم العمريطي)

واعلم اخي القارئ الكريم انه ليس لي فيه الا الكتابة و الجمع والنقل من كلام العلماء الراسخين , وكلما نقلت كلام احد العلماء فصرحت اسم الكتاب او المصدر شاهدا عليه (اي على الكلام) لانه كما قال ابن حزم الاندلسي في " رسائله " : فلولا شهادة الكتب لاستوت دعوى العالم والجاهل . انتهى , واذا كان الامر كذلك فهذا لا يدلّ على اني افهم منك فانما انا هنا مبلّغ بطريق الكتابة والجمع والنقل وقد حثّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تبليغ العلم فقال صلى الله عليه وسلم : (ليبلّغ الشاهد منكم الغائب) وقال صلى الله عليه وسلم : (فرب حامل فقه غير فقيه) قال السيد نبيل بن هاشم الغمري باعلوي في " فتح المنان " شارحا لهذا الحديث : والمراد رب حامل علم ولا فهم له .

فبيّن صلى الله عليه وسلم فائدة التبليغ فقال : (فان الشّاهد عسى ان يبلّغ من هو اوعى له منه) اي فان الشاهد قد يبلّغ العلم الى من هو افهم لمعناه منه , قال الشيخ العالم العلامة ملا علي القارئ في " مرقاة المفاتيح ": لكن يحصل له الثواب لنفعه بالنقل , اشارة الى افادة النقل والداعي اليه .

فاني ارجو منك اخي القارئ الكريم ان تعينني في تصحيح ما اخطأت فيه فانه ان وجد في هذا الشرح من صواب فمن الله او من خطأ فمن قصوري , وان تفتح لي باب الاعتذار , فرحم الله من رأى فيه خللا فأصلحه مساعدة لي على الخير وعونا لي على الصواب وجزاه افضل الجزاء .

والله أسأل ان يكتب لهذا الشرح القبول والنفع للعباد ليكون ذخرا لي ولوالدي ولمشايخي في يوم المعاد , امين يا الله يارب العالمين .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الكلام على البسملة بحر زاخر خاض في لجحه الاوائل والاواخر فلم يصلوا الى غايته ولا بلغوا الى نهايته , و قد افردها بالتأليف من لا يحصى من العلماء وأبدى فيها وأبدع من لا يستقصى من النبلاء , ومع ذلك ما بلغوا معشار ما انطوت عليه من لطائف الأسرار ونكات التفسير اذ لا يحصى بتفصيله وجمله الا اللطيف الخبير ولكن ما لا يمكن كله لا يترك بعضه او جلّه , فينبغي لكل شارع في فن من الفنون ان يتكلّم على البسملة بذكر طرف مما يناسبها من جهة ذلك الفن ليحصل أربع فوائد الاولى : وفاء لحق البسملة

والثانية : وفاء لحق الفن المشروع فيه

والثالثة : لان لا يعدّ قصورا او تقصيرا

والرابعة : لان تعود بركة البسملة للفن المشروع فيه

والان الشروع في فن النحو فأقول :

(وجوه اعراب البسملة)

قد اشتملت البسملة على الباء , واسم , ولفظ الجلالة (الله) , والرحمن , والرحيم :

(الباء) : حرف جر اصلي للاستعانة والمصاحبة التبركية

(اسم) مجرور بالباء وعلامة جره كسرة ظاهرة في أخره وهو مضاف

ذكر الامام البغوي في تفسيره المسمى " معالم التنزيل " حيث قال : واسقطت الالف من الاسم طلبا للخفة لكثرة الاستعمال وطولت الباء , قال القطبي ليكون افتتاح كلام كتاب الله بحرف معظم , كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول لكتّابه : طولوا الباء واظهروا السينا وفرجوا بينهما ودوّروا الميم تعظيما لكتاب الله

عزّ وجلّ , وقيل لما اسقطت الالف على الباء ليكون دالا على سقوط الالف الا ترى انه لما كتب الالف في : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) ردت الباء الى صيغتها , ولا يحذف الالف اذا اضيف الاسم الى غير الله ولا ممع غير الباء . انتهى

لكن قال الشيخ الخطاط محمد طاهر الكردي الازهري الشافعي في كتابه " تاريخ القران الكريم " : حذفوا من بسم الله الرحمن الرحيم ثلاث الفات : الاولى : من بسم الله , والثانية : من الله , والثالثة : من الرحمن , والعلماء لم يبحثوا عن حذف الالف من الاسمين الشريفين , بل ذكروا تعليلات متنوعة عن حذفها من بسم الله فقط , على انه مهما ذكروا من التعليلات لحذفها منه , فما هو الا من قبيل الاستئناس والتمليح لا غير , لان الحقيقة التي لا تنكر ان كتابة البسملة بهيئتها المعروفة لدينا , هو من رسم المصحف العثماني من ابتداء الامر قبل النظر في العلل والاسباب , ثم لا ندري لم حذفت الف بسم , من البسملة فقط , ولم تحذف من " اقرأ باسم ربك " ومن " سبح اسم ربك الاعلى " ومن " فسبح باسم ربك العظيم " مع العلم بأنه كان من حق البسملة ان تكتب على حسب النطق هكذا " باسم اللاه الرحمان الرحيم " , ويرى بعضهم بمناسبة حذف من " بسم " تطويل الباء منها بمقدار نصف الالف ليدل عليها ولانه اول حرف يكتب من القران فتطويله من قبل التعظيم , والى هذا اشار الشيخ محمد العاقب رحمه الله :

يطوّل الباء ويحذف الالف # من لفظ بسم الله كيفما الف

وحد طوله بلا ازدياد # مقدار نصف الف المعتد

وهل للاشعار بما قد سلب # وليرى اول حرف كتب

مقابلا بلرفع والتحسين # قولان في تفسير فخر الدين

ونحن نقول (اي الشيخ محمد طاهر الكردي) : ان تطويل الباء وكتابة الحروف راجع لقواعد تحسين الخط , التي وضعها الخطاطون لاظهار جمال الحروف , ففي بعض انواع الخطوط يستحسن تطويل الباء الواقعة

اوّل الكلمة , كما في الخط الكوفي وخط الثلث والنسخ وفي بعضها يستحسن تقصيرها كما في خط الفارس وخط الرقعة . انتهى

وقال الشيخ الخطاط محمد طاهر الكردي الشافعي في موضع اخر في كتابه " تاريخ القرأن الكريم " : ذكر العلماء تعليلات متنوعة لبعض كلمات الرسم العثماني غير أن هذه التعليلات ما هي الا من قبيل الاستئناس والتلميح , لانها لم توضع الا بعد انقراض الصحابة رضي الله عنهم , وهم قد كتبوا المصحف بهذ الاسم لحكمة لم نفهمها واشارة لم ندركها من غير أن ينظروا الى العلل النحوية او الصرفية التي استنبطت بعدهم ونحن نأتي هنا بشيء من ذلك للعلم به :

انهم قالوا حذفت الالف من بسم الله فمنها طلبا للخفة لكثرة استعمالها قيل : لما اسقطوا الالف ردوا طول الالف على الباء ليكون دالا على سقوط الالف ولا تحذف الالف اذا اضيف الاسم الى غير الله ولا مع غير الباء

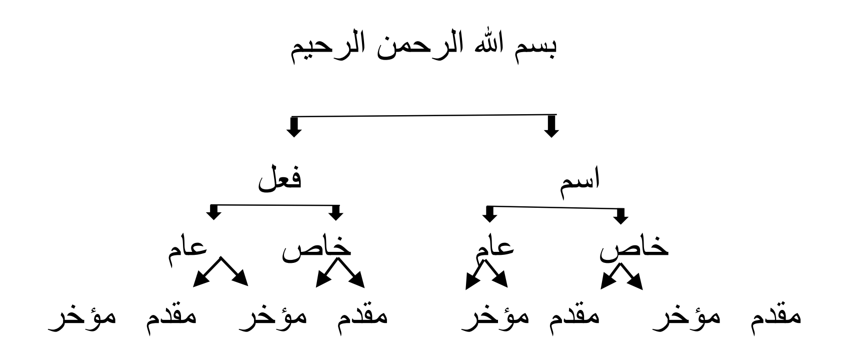
فنحن نقول (اي الشيخ محمد طاهر) : ما هي الخفة في بسم الله بحذف الالف , وما هو الثقل في اقرأ باسم ربك , وفي سبّح اسم ربك , باثباتها , ثم ان تطويل الباء وتقصيرها راجع الى قوعد تحسين الخط , ففي بعض انواع الخطوط تقصر , وفي بعضها تطول حتى في الخط الكوفي القديم

قال الشيخ العلامة محمد علي الصابوني في " روائع البيان " : فان قيل لماذا تقول : (باسم الله) ولا نقول (بالله) ؟

فالجواب كما قال العلامة ابو السعود : هو التفريق بين اليمين والتيمن يعني التبرك , فقول السائل : (بالله) يحتمل القسم ويحتمل التبرك , فذكرالاسم يدل على ارادة التبرك والاستعانة بذكره تعالى ويقطع احتمال ارادة القسم . انتهى

(بسم) الجار والمجرور متعلق بمحذوف

ومتعلقه ثمانية , انظر الى هذأ المخطط !! :



اسم خاص مقدم = تأليفي بسم الله الرحمن الرحيم

اسم خاص مؤخر= بسم الله الرحمن الرحيم تاليفي

اسم عام مقدم = ابتدائي بسم الله الرحمن الرحيم

اسم عام مؤخر = بسم الله الرحمن الرحيم ابتدائي

فعل خاص مقدم = اؤلف بسم الله الرحمن الرحيم

فعل خاص مؤخر= بسم الله الرحمن الرحيم اؤلف

فعل عام مقدم = ابتدأ بسم الله الرحمن الرحيم

فعل عام مؤخر = بسم الله الرحمن الرحيم ابتدأ

كما قال الناظم الشيخ يوسف البرناوي :

وعلق الظرف وما ضهاه # بالفعل او ما يحتوي معناه

والاولى ان يكون تقديره فعلا خاصا مؤخرا لأمور :

الاول : لان الاصل في العمل للأفعال , لان الشرع جاء بذالك مصرحا به : (اقرأ باسم ربك الذي خلق)

وجاء في النص حديث (باسمك ربي وضعت جنبي) فدل على أن الاصل في متعلق الباء ان يكون فعلا

الثاني : لان الخاص أدل على المقام , لان من بسمل لشيء لا بد أنه ان ينوي ويضمر في نفسه ما جعل البسملة مبدأ له,هذا اولى من ان نقدر فعلا عاما او اسما عاما لانه اذا قدّرنا فعلا خاصا نحو أؤلف , او أنام , او أكل , فهذا أدل على المراد من ان نقدر فعلا عاما , لانه لو قدرنا فعلا عاما او اسما عاما في كل موضع نحو أبتدأ او ابتدائي فلا يفهم منه حينئذ الحدث الخاص مع أن كل من بسمل لشيء ينوي ويضمر في نفسه حدثا خاصا معينا جعل البسملة مبدأ له ويوهم ان التبرك مطلوب في الابتداء لا غير مع أنه مطلوب ابتداء ووسطا وانتهاء .

الثالث : لان فيه اهتمام باسم الله ليكون اسمه مقدما ولا يرد تقدم الباء ولفظ اسم عليه لان الباء وسيلة لذكره على وجه يؤذن بالبدء فهي من تتمة ذكره على وجه المطلوب .

والرابع : لان تقديم المعمول يفيد الحصر والقصر اي بسم الله لا بغيره أؤلف حال كوني مستعينا بذكره ومتبركا به فيكون في ذالك مخالفة على الوثنية الذين يبدءون اعمالهم بأسماء ألهتهم او طواغيتهم فيقولون : باسم اللات , او باسم العزى او باسم الشعب , او باسم الهبل .

واما تقديم العامل في الاية : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) فلأنها اول اية نزلت فكان تقديم الامر بالقراءة اهمّ

(الله) لفظ الجلالة مضاف اليه وعلامة جره كسرة ظاهرة في أخره

(الرحمن) : صفة (نعت اول) للفظ الجلالة (الله) وحكم النعت تابع للمنعوت , والمنعوت (لفظ الجلالة " الله ") مجرور فالنعت (الرحمن) مجرور وعلامة جره كسرة ظاهر في أخره

(الرحيم) صفة (نعت ثان) للفظ الجلالة (الله) وحكم النعت تابع للمنعوت , والمنعوت مجرور فالنعت مجرور وعلامة جره كسرة ظاهرة في اخره

(اختلاف العلماء في اعراب الرحمن في البسملة)

ذهب بعضهم الى ان الرحمن بدل من لفظ الجلالة لا نعت له لان الرحمن علم , واستدل على ذلك بانه جاء استعمال الرحمن يدل على أنه علم كما في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى) وقوله تعالى (الرحمن علّم القران) وقوله تعالى (قل ادع الله او ادع الرحمن) , و القاعدة تقول : العلم ينعت ولا ينعت به فكان الرحمن بدلا من لفظ الجلالة

وذهب بعضهم الى ان الرحمن في البسملة نعت للفظ الجلالة واستدل بالدليلين :

الدليل الاول : أن القاعدة هنا العقدية في باب اسماء الله الحسنى انها اعلام واوصاف كما افاد الشيخ العلامة محمد بن احمد السفاريني في " لوامع الانوار البهية " فأسماء الله الحسنى هي جمعت بين أمرين كاسم " الرحمن " مثلا فليلزم ان تكون الذات المسماة بهذا الاسم متصفة بمعنى الرحمة لان اسماء الله الحسنى اعلام واوصاف

فمن حيث هي (اسماء الله الحسنى) أعلام فلا ينعت بها ومن حيث هي اوصاف صح النعت بها , فالرحمن هنا نعت من حيث انه وصف لان الشيء اذا كان له اعتباران يجوز اعمال احد الاعتبارين دون نظر للاخر

الدليل الثاني : انه لو كان بدلا لكان مبينا لما قبله , وما قبله وهو لفظ الجلالة لا يفتقر الى تبيين لانها اعرف المعارفكلها وابينها الا تراهم قالو : (وما الرحمن ؟) , ولم يقولوا (وما الله ؟) . انتهى , وهذا القول هو اقوى دليلا .

وهذا الوجه (جر الرحمن الرحيم) سنة متبعة فيصح تخريجه على القواعد االعربية ويتعين من جهة القراءة فلا يجوز غير هذا الوجه عند القرّاء

فان اوجه اعراب البسملة تسعة :

الاول : الجر فيهما نعتان للفظ الجلالة

الثاني : الرفع فيهما خبران لمبتدأ محذوف تقديره : بسم الله هو الرحمن الرحيم

الثالث : النصب فيهما مفعولان لفعل محذوف تقديره : بسم الله امدح الرحمن امدح الرحيم

الرابع : جر الرحمن نعت للفظ الجلالة ورفع الرحيم خبر لمبتدأ محذوف , تقديره : بسم الله الرحمن هو الرحيم

الخامس : جر الرحمن نعت للفظ الجلالة ونصب الرحيم مفعول لفعل محذوف , تقديره : بسم الله الرحمن امدح الرحيم

السادس : رفع الرحمن خبر لمبتدأ محذوف ونصب الرحيم مفعول لفعل محذوف , تقديره : بسم الله هو الرحمن امدح الرحيم

السابع : نصب الرحمن مفعول لفعل محذوف و رفع الرحيم خبر لمبتدأ محذوف , تقديره : بسم الله امدح الرحمن هو الرحيم

الثامن : رفع الرحمن خبر لمبتدأ محذوف وجر الرحيم نعت للفظ الجلالة , تقديره : بسم الله هو الرحمن الرحيم

التاسع : نصب الرحمن مفعول لفعل محذوف وجر الرحيم نعت للفظ الجلالة , تقديره : بسم الله امدح الرحمن الرحيم

فجملة ما يتحصل في البسملة تسعة اوجه الاول منها يصح عربية ويتعين قراءة والستة بعده تصح عربية لا تجوز قراءة

والوجهان الاخران ممتنعان لا تصحان عربية ولا تجوزان قراءة , وانما منعا لان التابع اشد ارتباطا بالمتبوع فلا يؤخر عن المقطوع ولان في الاتباع بعد القطع رجوعا الى الشيء بعد الانصراف عنه لا لاعتراض الجملة بين الصفة والموصوف لوقوعه في قوله تعالى : (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) , وطباع العرب تأبى ذلك , أنشدوا :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكن # اليه بوجه أخر الدهر تقبل

قال العلامة الاستاذ محمد معصوم بن سالم السماراني في " تشويق الخلان " : وقد نظمت الاوجه مبينا للجائز والممتنع فقلت :

واوجه الرحمن والرحيم # تكون تسعة لدى التقسيم

جرهما الثابت في الكتاب # وتسعة تسوغ في الاعراب

اي جر اول ونصب ما تلا # ورفعه كذا او انصب اولا

مع رفع تال ثم عكسه اتى # رفعهما نصبهما قد ثبتا

وجر ثان مع رفع اول # او نصبه امنعنه فلتدع لي

قال ابن القاسم المرادي في " توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك " : اذا قطع بعض النعوت دون بعض قدم المتبع على المقطوع ولا يعكس وفيه (تقديم المقطوع على الاتباع) خلاف قال ابن ابي الربيع : الصحيح : المنع , وقال صاحب البسيط : الصحيح الجواز

قال العلاّمة الصبان في حاشيته على الأشموني وقال : هذا (اي الاول) هو الراجح .

(معنى البسملة)

الباء في البسملة التي للاستعانة والمصاحبة التبرّكية اشارة الى ان كل شيء لا بد في تحققه من اعانته تعالى والى أن الضعف مصاحب و ملازم للانسان , وقد اضطره ضعفه حال عزمه ان يستعين فانه لا حول ولا قوة الا بالله , فاسقط بذكر بسم الله الرحمن الرحيم حولا له وقوة مستشعرا تماما فقره امام سلطانه تعالى وقيوميته , حتى وجد من صدق لجوئه ان تبرأ من الحول والقوة فاستعان به سبحانه وتعالى والتمس البركة (زيادة الخير) منه بذكر اسمه .

(الله) قال الامام شهاب الدين احمد الصاوي في " حاشيته على جوهرة التوحيد " : هو الاسم الاعظم عند اهل التحقيق " وقال الامام القرطبي في " الجامع لاحكام القران " : هذا الاسم اكبر اسمائه سبحانه وتعالى واجمعها وهو اسم الموجود الحق الجامع للصفات الالهية المنعوت بنعت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي لا اله الا هو سبحانه .

(الرحمن) معناه : ذو الرحمة العامة التي وسعت الخلق في ارزاقهم ومصالحهم وعمت المؤمن والكافر

وهذه الرحمة العامة يطلق عليها اسم الرحمة الرحمانية وهي التي تعم جميع المخلوقات والموجودات , وهي الالطاف الالهية الشاملة للكل , وكذالك منها جميع الوسائل التي خلقت لاجل وجودهم والحفاظ على بقائهم من هذه الرحمة ايضا .

(الرحيم) معناه : ذو الرحمة الخاصة للمؤمنين ويطلق عليها اسم الرحمة الرحيمية وهي الالطاف الالهية الخاصة بالمؤمنين والمتعلقة بحسن طاعتهم وامتثال اوامر الله ونواهيه .

ومن اعظم رحمات الله على الناس ان يرسل رسلا اليهم مبشرين ومنذرين , يتلون عليهم ايات ربهم ويعلّمونهم ما يصلحهم ويرشدونهم الى مصدر سعادتهم في الدنيا والاخرة , وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين , وان يتهيء لهم علماء صالحين الذين هم ورثة الانبياء والمرسلين يجعلون جلّ اهتمامهم خدمة العباد

في الارشاد الى رب العباد بنصح واخلاص مع التحلي بالفقه والحكمة وحسن القدوة وارادة وجه الله والدار الاخرة .

قال تعالى : (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (وذكر فان الذكر تنفع المؤمنين)

ولا يخفى ان المراد من هاتين الايتين كلا الرحمتين رحمانية ورحيمية , فارسال الرسل بما هو رحمة للعالمين هو رحمة رحمانية , وبما ينتفع به المؤمنون هو رحمة رحيمية .

فكل نعمة تعم جميع الناس من رزق ومال وصحة وعقل وغيرها هي رحمة رحمانية , وهي في نفس الوقت رحمة رحيمية اذا استعملها العبد فيما فيه خيره وصلاح اخرته .

(حظ العبد من هاتين الاسمين العظيمين الرحمن والرحيم)

- ان يرحم عباد الله الغافلين , فيذكرهم وينبّههم ويسعى لاصلاحهم بالطريقة الحكيمة والموعظة الحسنة والنصيحة الجميلة وبطريق اللطف دون العنف , لعلهم يرجعون من طريق الغفلة الى الله, وان ينطر الى العصاة بعين الرحمة لا بعين الازراء والاحتقار مع النظرالى معصيتهم بعين الشريعة وان يدعو لهم بالهداية , وان يكون كل معصية تجري في العالم كمصيبة له في نفسه فيبذل جهده في ازالتها بقدر وسعه رحمة لذلك العاصي ان يتعرض لسخط الله ويستحق البعد من جواره .

- وان لا يدع فاقة لمحتاج الا يسدّها بقدر طاقته ولا يترك فقيرا في جواره وبلده الا ويقوم فقره اما بماله او جاهه او السعي في حقه بالشفاعة الى غيره , فان عجز عن جميع ذلك فيعنيه بالدعاء واظهار الحزن بسبب حاجته رقة عليه وعطفا حتى كأنه مساهم له في ضره وحاجته .

(الرحمة النبوية)

اعلم ان من سمات الكمال التي تحلى بها النبي صلى الله عليه وسلم الرحمة والرأفة بالغير , كيف وهو المبعوث رحمة للعالمين وقد تجلت رحمته صلى الله عليه وسلم في عدد من المظاهر والمواقف ومنها رحمته صلى الله عليه سلم بالعاصي

كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحاب المعاصي الرفق ونظر الرحمة , وكان يعظهم ويبين لهم الحكمة التي شرعها الله في تحريم الحرام , فعن ابي أمامة رضي الله عنه , قال : ان فتى شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه , قالوا : مه مه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادنه , فدنا منه قريبا فجلس , قال اتحبه لامك ؟ , قال : لا , والله يا رسول الله جعلني الله فدائك , قال صلى الله عليه وسلم : ولا الناس يحبونه لامهاتهم , قال : افتحبه لابنتك ؟ , قال : لا , والله يا رسول الله , جعلني لله فدائك , قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم , قال : افتحبه لاختك ؟ , قال : لا , والله يا رسول الله , جعلني الله فدائك , قال : ولا الناس يحبون لأخواتهم , قال : افتحبه لعمتك ؟ , قال : لا , والله جعلني الله فدائك , قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم , افتحبه لخالتك ؟ , قال : لا و والله , جعلني الله فدائك , قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم , ثم وضع يده عليه , قال : " اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه " , فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شيء . رواه احمد

حضر مجوسي عند ابراهيم عليه السلام , فجاءه بطعام ثم قال : هل لك في الاسلام رغبة , فترك الاكل وانصرف , فأوحى الله اليه : يا ابراهيم انا ارزقه على كفره منذ اربعين سنة وانت تريد ان ترده عن دينه بأكلة واحدة , فخرج في طلبه فوجده فأخبره بذلك فاسلم ورجع معه الى طعامه . وجاء في بعض الايام رجل يعبد نارا فأكرمه فقالت الملائكة : ربنا , خليلك يكرم عدوك , فقال : انا اعلم بخليلي منكم ياجبريل اهبط اليه واعرض عليه قول الملائكة فأخبره بذالك فقال : قل لربي : تعلمت الجود منك لانك تحسن لمن اساء . (منقول من كتاب نزهة المجالس ومنتخب النفائس الشيخ عبد الرحمن بن عبد السلام الصقوري)

وقد اقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل ابو الدرداء رضي عنه بجماعة حين مرّ بجماعة وهم قد تجمهروا على رجل وجعلوا يضربونه ويشتمونه , فأقبل عليهم , وقال : ما الخبر ؟ , قالوا : رجل وقع في ذنب كبير , قال ارأيتم لو وقع في بئر افلم تكونوا تستخرجونه منها ؟ , قالوا : بلى , قال : لا تسبوه ولا تضربوه وانما عظوه وبصروه واحمدو الله الذي عافاكم من الوقوع في ذنبه , قالوا : افلا تبغضه ؟ , قال :

انما ابغض فعله , فاذا تركه فهو اخي , فأخذ الرجل ينتحب ويعلن توبته . انتهى (منقول من كتاب صور من حياة الصحابة للشيخ عبد الرحمن رافت الباشا)

وعن الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : اذا رايتم اخاكم قارفا ذنبا فلا تكونوا اعوانا للشيطان عليه , تقول اللهم اخزه , اللهم العنه , لكن سلوا الله العافية , فانا اصحاب محمد كنا لا نقول في احد حتى نعلم على ما يموت , فان ختم بخير علمنا انه قد اصاب خيرا وان ختم له بشر خفنا عليه (منقول من كتاب حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي)

فالرحمة بالعصاة تكون بتبصيرهم بأخطاءهم وارشادهم باالحكمة والدعاء لهم بالهداية والعافية

(لماذا ابتدأ الناظم منظومته بالبسملة ؟)

ابتدأ الناظم منظومته بالبسملة كغيره من اهل العلم ارباب التصنيف والتأليف أنهم يبدؤون الكتب والمصنفات بالبسملة وقد صارت هذه سنة عملية من جهتهم كما ذكر الامام ابن حجر العسقلاني في " فتح الباري " : انه قد استقر عمل ائمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة وكذا معظم كتب الرسائل .
وذالك لأمور :

الامر الاول : اقتداء بالكتاب العزيز في ابتدائه بها في اللوح المحفوظ او بعد جمعه وترتيبه في المصحف حيث افتتح الصحابة المصحف العثماني بها وتلوها وتبعهم جميع من كتب المصحف بعدهم في جميع الامصار وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة خلفاء الراشدين من بعدي . رواه ابو دواد والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح

هي اول ما كتبه القلم في اللوح المحفوظ . قال القطب الرباني والعارف الصمداني الشيخ عبد القدير الجيلاني في " الغنية لطالبي طريق الاخرة " : في فضل بسم الله الرحمن الرحيم عن عكرمة رحمه الله انه

قال : اول ما خلق الله اللوح والقلم, امر الله القلم فجرى على اللوح بما هو كائن الى يوم القيامة فأول ما كتب على اللوح : " بسم الله الرحمن الرحيم " . انتهى

قال الامام ابو بكر الخطيب البغدادي في " الجامع لأخلاق الراوي واداب السامع " : حدثنا محمد عبد العزيز البرذعي , حدثنا احمد بن محمد بن عروة , حدثنا خالي ابراهيم بن احمد بن اسحاق حدثنا علي بن عباس حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا عمر بن مصعب عن فرات بن احنف عن ابي جعفر محمد بن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب .

وهي اول ما امر الله به جبريل ان يقرئه النبي محمدا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : (اقرأ باسم ربك الذي خلق) اي اقرأ ما انزل من القرأن مفتتحا باسم ربك اي قل باسم الله ثم اقرأ, فكان اول امر ينزل عليه معنى باسم الله, فهي اول ما ينطق به قارئ القران .

والامر الثاني : تأسيا بالسنة الفعلية لان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا كتب الرسائل افتتحها ببسم الله الرحمن الرحيم الى هرقول عظيم الروم كما جاء في صحيح البخاري

والامر الثالث : عملا بخبر (كل امر لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ابتر) رواه عبد القادر الرهاوي في " الاربعين البلدانية " وكذا الخطيب في " كتاب الجامع " .

والمعنى كل امر ذي حال يهتم به شرعا لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو ناقص وقليل البركة

قال السيد البكري في " اعانة الطالبين " قلة البركة في كل شيء بحسبه فقلتها في نحو التأليف قلة انتفاع الناس به وقلة الثواب وفي نحو الاكل قلة انتفاع الجسم به وفي نحو القراءة قلة انتفاع القارء بها لوسواس الشيطان حينئذ انتهى .

ورأيت في " كتاب العقد الجوهري للامام ابن الحاج " ما روي عن بعض الصالحين : انّ بعض الصالحين كان يقرأ قل هو الله احد كل ليلة مائتي مرّة فنام فرأى مائتي شاة مقطوعة الرأس فقال لمن هذه ؟ فقالو : لك , فقال : ما لها مقطوعة الرأس , فقليل له انت تقرأ قل هو الله احد دون بسملة

والامر الرابع : طرد للشيطان فان العبد اذا اراد ان يعمل عملا صالحا كالتأليف بالغ الشيطان في افساد نيته فشرع الابتداء بالذكر لانه مع الذكر ضدان , والضدان لا يجتمعان .

ان قال قائل : ان هذا الكتاب (نظم العمريطي) شعر , وقد قال العلماء : لا يبدأ الشعر بالبسملة

فاجاب العلماء المحققون فقالو : والصحيح انه يدور مع الاحكام الخمسة ان كان الشعر محرما حرم الاتيان بالبسملة , وان كان مكروها كره كالغزل ونحوه , وان كان جائزا فجاز , وان كان مستحبا فيستحب كما هو يتعلق بالعلوم سواء كانت علوم المقاصد وعلوم الالة كهذه المنظومة فحينئذ يعتبر الاتيان بالبسملة في ابتداء هذه المنظومة من المستحب

(الحمد لله الذي قد وفّق   للعلم خير خلقه وللتقى)

معنى البيت : اثنى الناظم على الله بأن جنس الحمد او جميع الحمد مستحق لله سبحانه وتعالى لانه لا احد يستحق ان يحمد لذاته الا الله الذي قد خصّ عباده المختارين الاخيار بالاعانة على تحصيل العلم والتقوى

و (الحمد لله) كلمة الشكر , قال الامام ابن ابي حاتم الرازي في تفسيره : عن يوسف بن مهران قال ابن عباس : الحمد لله كلمة الشمكر واذا قال العبد الحمد لله قال شكرني عبدي . فهذا البيت هو كلمة الشكر لله على نعمة التوفيق للجمع بين العلم والتقوى , والذي انعمه به هو خير خلقه , فخير الخلق هو من جمع بين العلم والتقوى .

(الحمد) لغة هو الثناء بالجميل سواء تعلق بالفضائل اي الصفات التي لا يتعدى اثرها للغير كالعلم والحسن, ام بالفوضل اي الصفات التي يتعدى اثرها الى الغير كالتعليم والاحسان

واصطلاحا : فعل يدل على تعظيم المنعم بسبب كونه منعما سواء كان قولا باللسان بأن يثني عليه به او اعتقادا بالجنان بأن يعتقد اتصافه بصفات الكمال او عملا وخدمة بالاعضاء والاركان بأن يجهد نفسه في طاعته .

والالف واللام في " الحمد " لاستغراق الجنس من المحامد فهو سبحانه يستحق الحمد بأجمعه كما قال الامام القرطبي في " الجامع لاحكام الفقران " .

واللام في لله للاستحقاق وهي الواقعة بين اسم معنى (اسم صفة) و اسم ذات كما قال الامام هشام الانصاري في مغني اللبيب

فالحمد هو اسم معنى (اسم صفة) , والله هو اسم الذات الواجب الوجود الجامع للصفات الالهية كلها المستحق لجميع المحامد , فقرن لفظ " الحمد " بلفظ الجلالة " الله " الدالة على استجماعه تعالى لصفات

الكمال واستحقاقه الحمد لذاته ولذا لم يقل : الحمد للخالق او للرازق ونحوهما مما يوهم اختصاص الحمد بوصف دون وصف فقوله الحمد لله اشارة الى استحقاقه تعالى الحمد بكل وصف .

(وفّق) مأخوذ من التوفيق وهو : المعونة للسير الى طريق الخير وهي التي امرنا الله بطلبها في قوله : (اهدنا الصراط المستقيم) فكأنه سبحانه وتعالى يقول : قولوا يا عبادي اهدنا الصراط المستقيم , فهذا تعليم من الله لعباده ان يدعوه بهذا الدعاء فان قال العبد (اهدنا الصراط المستقيم) يقول الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل , هكذا في الحديث الصحيح , فجدير ياعباد الله ان يكون قلبك خاشعا حاضرا حين تقول : (اهدنا الصراط المستقيم)

اذ المراد بالهداية هنا التوفيق اي المعونة وذلك لاننا نحتاج ليلا ونهارا الى سؤال المعونة للسير الى طريق الخير وتحفظنا من الوقوع في الخطاء والضلال فان العبد مفتقر في كل ساعة وحالة الى الله في تثبيته على طريق الخير ورسوخه فيه واستمراره عليه , فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله , فأرشده تعالى الى ان يسأله في كل وقت أن يمده بالتوفيق والمعونة والثبات , فحكمة قراءة الفاتحة في كل صلاة لنسئله تعالى ليلا ونهارا التوفيق عند قراءتنا للاية (اهدنا الصراط المستقيم) لشدة حاجتنا اليه .

فالهداية بمعنى التوفيق خاصة به سبحانه وتعالى, قال تعالى حكاية عن نبيه شعيب عليه السلام : (وما توفيقي الا بالله) , ومن ثم نفاها عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : (انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقوله : (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) واثبتها لنفسه (اؤلئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)

(خير خلقه) اي عباده المختارين الاخيار هم اهل العلم والتقوى

(العلم) الشرعي كعلم العقيدة وعلم الفقه وعلم الاخلاق (التصوف او تزكية النفس) وعلم التفسير وعلم الحديث ويسمى هذه العلوم علوم المقاصد . لكل مقصود وسيلة ليسهل بها الوصول اليه , فلعلوم المقاصد

علوم الوسائل (علوم الالة) وهي التي تساعد على فهم علوم المقاصد ولذا يحتاج الى فهم علوم الوسائل ليسهل فهم علوم المقاصد , وذالك كعلم النحو وعلم الصرف وعلم المنطق وعلم البلاغة وغير ذلك

(أيّهما يقدّم علوم المقاصد ام علوم الوسائل ؟)

والجواب : ان يبدأ طالب العلم بمختصرات سهلة العبارة في علوم المقاصد حتى يتصور مسائل تلك العلوم تصورا حسنا , وكان اول اشتغاله بالاهمّ فالاهمّ فيبدأ بما هو فرض عليه بحسب ما يقتضيه الحال والوقت - كما في احياء علوم الدين - فاذا فرغ من فروض العين فانتقل الى غيرها من فروض الكفاية بان يبدأ بالقرأن العظيم واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرهما من فروض الكفاية بأن يأخذ من علوم الوسائل ما يناسب حال المبتدئين فيدرس مختصرات فيها ويضبط مسائلها بما يناسب حاله , ثم يتوسع قليلا في علوم المقاصد فيدرسها بما يناسب حال المتوسطين , بعد ان حصل قدرا حسنا في علوم المقاصد ثم يدرس علوم الوسائل بما يناسب حال المتوسطين وهكذا حتى يصل الى مشارف مرحلة المتقدمين في علوم المقاصد وعلوم الالة , وبعد ذلك يجد الطالب امامه خيارات متعددة للتقدم في هذه العلوم لان التقدم فيها جميعا في وقت واحد عسر . انتهى

(لماذا الناظم جمع بين العلم والتقوى في البيت ؟)

والتقى مأخوذ من التقوى وهي امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه ظاهرأ وباطنا سرا وعلانية

وانما جمع الناظم بين العلم والتقوى لان العلم والتقوى يجب ان يقترنا معا , فمن طلب العلم فعليه بالتقوى ليتنور قلبه ويفتح له طرق العلم وبركاته ومنافعه اذ المعصية تطمس نور القلب وتسد طرق العلم وبركاته ومنافعه , وقد وصى الامام مالك للامام الشافعي فقال له : يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فسيكون لك شأن من الشأن , انّ الله تعالى قد القى على قلبك نورا فلا تطفلئه بالمعاصي ,ومن اراد التقوى فعليه بالعلم اذ الجاهل لا يعلم كيف يتقي لا من جانب الامر ولا من جانب النهي .,

(من هم خير خلق الله)

الجواب : هم اهل العلم والتقوى لان كلا من العلم والتقوى يرفع صاحبه عند الله ويقربه اليه تعالى في الدنيا والاخرة

شواهده من القران ايات كثيرة منها قوله تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتو العلم درجات) . اي يرفع الله المؤمن العالم على المؤمن غير العالم درجات عنده سبحانه وتعالى ورفعة الدرجات تدل على الفضل ورفعتها تشمل المعنوية والحسية قال هذا التفسير الامام ابن حجر العسقلاني في " فتح الباري " وقوله تعالى : (شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط) قال الامام الغزالي في " احياء علوم الدين " : فانظر كيف بدأ سبحانه بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم بقوله ونهيك بهذا شرفا وفضلا واجلالا ونبلا

وقال تعالى : (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) اي ان ارفعكم منزلة عند الله واعلاكم عنده درجة هو اكثرهم تقوى وخشية منه فجميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية سواء وانما يتفاضلون بالامر الديني وهو التقوى

ومن الاحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم : (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين) اي من اراد توفيقه من عباده لخير عظيم يفهمه شيأ فشيأ في تعلم علوم الدين, فهذا الحديث يدل على عظمة شأن التفقه في الدين وانه لا يعطاه الا من اراد به خيرا عظيما . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (العلماء ورثة الانبياء , وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر) ومعلوم انه لا رتبة فوق رتبة النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة , هذا من اعظم المناقب لأهل العلم فان الانبياء خير خلق الله فوراثتهم خير الخلق بعدهم ولذا قال الشيخ العلامة احمد بن الشيخ الحجازي الفشني في " القلادة الجوهرية في شرح الدرة البهية نظم الاجرمية " : خير خلقه وهم الانبياء و ورثتهم العلماء , وذالك لما كان كل موروث - (اي الذي ترك الميراث) - ينتقل ميراثه الى ورثته اذ هم الذين يقومون مقامه بعده ولم يكن بعد الرسول من يقوم مقامه في تبليغ ما ارسلو به الا العلماء كانوا احق الناس بميراثهم وفي هذا

تنبيه على انهم اقرب الناس اليهم فان الميراث انما يكون لاقرب الناس الى الموروث , وهذا كما انه ثابت في ميراث الدينار والدرهم فكذالك هو في ميراث النبوة , والله يختص برحمته من يشاء . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا فضل لعربي على اعجمي ولا لعجمي على اعربي ولا لأبيض على اسود ولا لأسود على ابيض الا بالتقوى الناس أدم , وأدم من تراب) وبهذا الحديث يظهر ان التفضيل لا يرجع الى عربي اوعجمي ولا الى اسود او ابيض فان التفضيل عند الله بالتقوى

والحاصل : واذا علمت فضائل اهل العلم والتقوى بهذه الشواهد علمت ان لهم درجات عالية و فضائل عظيمة عند الله فلا شك ان الذين هذه خصالهم انهم صاروا خير خلق الله

(فاشربت معنى ضمير الشأن   فأعربت في الحان بالالحان)

فبسبب حسن توفيقه لهم قصدت قلوبهم للوصول والتقرب الى الله تعالى فيواظبوا على الاعمال الصالحة من الفرائض والنوافل فنالوا درجة القرب فاختلطت قلوبهم بمعنى كلمة التوحيد لا اله الا الله فامتزج ذلك المعنى في قلوبهم فبينت في مقام المحبة او حضرة الرب التى يسقى من دخلها من رحيق مختوم قال الله تعالى : (يسقون من رحيق مختوم) 1

قال الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي في تفسيره : يسقون من خمرصرف (خالص) من المحبة الروحانية الغير الممزوجة بحب النفس للجواهر الجسمانية مختوم بختم الشرع لئلا تمتزج به النجاسات الشيطانية من المحبات الوهمية المحرمة والشهوات النفسانية المهيئة .

---

(1) عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما تقرب الي عبد بشيء احب الي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فأذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني اعطيته ولأن استعاذني لأعيذنه) رواه البخاري

قوله (ما تقرب الي عبد بشيء احب الي مما افترضته عليه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه) بالتخلي عن معاصي الجوارح كأكل الحرام والظلم والغيبة والكذب والشتم والنظر الى ما لا يحل واللتخلي عن معاصي القلب كالشرك والشك والجهل والرياء والعجب والكبر والحسد وسوء الظن وغير ذالك من المحرمات وبالتحلي بالعبادات الظاهرة من فرائضها ونوافلها كالصلاة والزكاة والصوم والصدقة وطلب العلم وغير ذالك من عبادات الجوارح والتحلي بالعبادات الباطنة من فرائضها ونوافلها كقوة الايمان والمعرفة و العلم والتفكر وحسن الظن والرضا والاخلاص وسائرعبادات القلب وكل ذلك ينال بالرياضة والمجاهدة وصدق النية

قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) , وقال تعالى : (ان يعلم في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا)

واذا أردت ذلك فيكفيك ان تتعلم مع شيخك ما في كتاب " سلم التوفيق " وتعمل بما فيه . فان شاء الله تنال الدرجة العالية عنده

(تنبيه) قال الشيخ العلامة محمد نووي الجاوي البنتني في " مراقي العبودية " : والمراد بالنوافل هي النوافل الواقعة ممن أدى الفرائض لا ممن ترك شيأ منها قال بعض الاكابر : من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور .

قوله : (فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني اعطيته ولأن استعاذني لأعيذنه) قال الشيخ العلامة عبد الله النبراوي في " عروس الافراح " : اختار بعض المحققين - (كالامام ابن حجر الهيتمي في الفتح المبين) - : انه مجاز عن نصرة الله لعبده المتقرب اليه بما ذكره وتأييده واعانته وتوليه في جميع اموره .

فالمراد بهذا الحديث : ان الله يتولى من احبه في جميع احواله بلطفه ونصره وتأييده وتأنيسه وعنايته ونحو ذلك , فهذا يسمى ولاية خاصة , واما الولاية العامة فهي تولي الله جميع الخلائق بتدبيرهم ونفوذ القدر فيهم .

ولذا قال الامام عبد العزيز الدريني في كتابه " طهارة القلوب " : محبة الله تعالى لعبده ارادة تقريبه واكرامه وتوليه بعنايته في جميع احواله , فمن أحبه الله عامله بلطفه وجاد عليه بأحسانه وفتح عليه بما يبلغه امله , ومحبة العبد لله تعالى تعلق القلب بذكره ودوام الشغف والتنعم بمناجاته والتلذذ بخدمته وصدق الشوق اليه .

وقال الامام القشيري في " الرسالة القشيرية " : قرب الحق سبحانه بالعلم والقدرة عام للكافة واللطف والنصرة خاص بالمؤمنين ثم بخصائص التأنيس مختص بالاولياء

قال السيد بكري المكي في " كفاية الاتقياء " : في الحديث : اشارة الى ان باب محبة الله للعبد هو التقرب اليه بالمواظبة على الاعمال الصالحة من الفرئض والتوافل فلا يزال العبد يتقرب الى الله بها حتى يحبه فيستغرق بملاحظة جناب القدس بحيث لا يلاحظ شيأ والا ويرى الله فيه وهو أخر درجات السالكين واول درجات الواصلين , رزقنا الله ذالك بمنه وكرمه . انتهى

وهذا المقام يسمى مقام المحبة التي قال عنها الامام الغزالي في " احياء علوم الدين " هي الغاية القصوى من المقامات والذروة العليا من الدرجات فما بعد ادراك المحبة مقام الا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والانس والرضى واخواتها ولا قبل المحبة مقام الا وهو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والشكر وغيرها

قال الامام الحافظ ابن حجر العسقلاني في " فتح الباري " : وحمله بعض متأخري الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو , وأنه الغاية التي لا شيء وراءها وهو ان يكون قائما باقامة الله له محبا بمحبته له ناظرا بنظره له من غير ان تبقى معه بقية تناط باسم او تقف على رسم , او تتعلق بأمر او توصف بوصف , ومعنى هذا الكلام أنه يشهد اقامة الله له حتى قام ومحبته له حتى أحبه ونظره الى عبده حتى اقبل ناظرا اليه بقلبه .

قال الامام الحافظ جلال الدين السوطي في " تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية " : لا اشكال في هذا المعنى ايضا .

قال الشيخ الحافظ الصوفي عبد الله الصديق الغماري في " الاعلام بان التصوف من شريعة الاسلام " : في هذا الحديث بيان مبدأ طريق الصوفية ونهايته , وذلك أنهم يبدأون بالمجاهدة ولا يزال يجاهدون انفسهم , ويجتهدون في تطهير قلوبهم من كل ما يباعد عن الله , وتزيينها بكل ما يقرب اليه من الاقوال والاعمال والاحوال , ولزوم الاقبال عليه ودوام المشول بين يديه في كل وقت وعلى كل حال بحسب الامكان حتى يصلوا الى مقام الفناء , ومن وصل منهم الى هذا المقام كان محبوبا ملحوظا ومربوبا محفوظا فني عن نفسه وبقي بربه فكان الله ولى امره وحافظ سره فهو لذلك سمعه وبصره ويده ورجله اي متولي شئونه كلها .

والحاصل : ان من اجتهد بالتقرب الى الله ثم بالنوافل قرّبه الله اليه ورقاه من درجة الايمان الى درجة الاحسان فيصير يعبد الله تعالى على الحضور والشوق اليه تعالى حتى يصير مشاهدا له تعالى بعين البصيرة فكأنه يراه تعالى فحينئذ يمتلئ قلبه بمعرفته ومحبته والانس به ثم لا تزال محبته تتزايد حتى لا يبقى في قلبه غيرها فلا تستطيع جوارحه ان تنبعث الا بموافقة ما في قلبه , وهذا هو الذي يقال فيه : لم يبق في قلبه الا الله اي معرفته ومحبته وذكره . ذكر هذا المعنى الامام ابن رجب الحنبلي في " جامع العلوم والحكم " والامام ابن ابن حجر الهيتمي في الفتح المبين" والشيخ العلامة نووي الجاوي في " مراقي العبودية " . اللهم لا يعرفها الا من ذاقها .

قال الامام ابن عطاء الله في " الحكم " : فما زالت مطية عزم الراغب في السير الى ربه لا يقر قرارها دائما تسيارها الى ان اناخت بحضرة القدس وبساط الانس في محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون وفيها يسكنون فاذا نزلوأ الى سماء الحقوق او ارض الحظوظ فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوا في ذلك بالله ومن الله والى **الله (وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) ,** ليكون نظري الى حولك وقوتك اذ ادخلتني وانقيادي اليك اذ

اخرجتني , **(واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا)** , وينصر بي ولا ينصر علي وينصرني على شهود نفسي ويغنيني عن دائرة حسي

ومعنى الكلام : لا يزال عزمه الشبيه بالمطية (ي عزم العبد العاقل) في ترقّ حتى يصل الى حضرة القدس - وهي حضرة الرب سبحانه وتعالى - و بساط الانس - اي المؤانسة لكل واصل , فيقابله بأنواع من الفتوحات والكرمات والتحف السنية والعلوم والمعارف الربانية التي لا يعرف تفاصيلها الا من وصل هناك وذاق مذاق اهل القرب والتمكين فصارت حضرة ربه مستوطن قلبه فيأوى اليه بالمعرفة الذوقية فلا يشغله عن تلك الحضرة شيء ولا يتغير سره عن النظر الى الجلال , وعن شهود الجمال فهو كالبحر لا تغيره الرمم وكالجبل لا تهزه الرياح لتمكنه ن المعرفة اذا صلى غيره بنيران هواه وحين يزعج سواه عن متعة دنياه , وههنا حصل لهم مقام الفناء والمحو وهذا مقام الجمع , وهذا هو انتهاء سفرهم بمعنى الصعود والترقي , ثم بعد ذلك يتحققون بقام البقاء والصحو وهو مقام الفرق الذي يؤمرون فيه بمخالطة الخلق وهو المراد بقوله : (فاذا نزلوا الى سماء الحقوق) اي حقوق الله الواجبة عليهم عند مخالطة الناس الشبيهة بالسماء بجامع صعوبة الارتقاء الى كل (او أرض الحظوظ) اي حظوظ انفسهم التي يحصل لهم الارتفاق بها الشبيهة بالارض بجامع سهولة الاستقرار الى كل , (فبالاذن والتمكين والرسوخ في اليقين فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة بل دخلوأ في ذلك بالله ولله و من الله والى الله) اي فيكون نزولهم بالاذن من الله لهم في النزول لارشاد الخلق بما يشرق في قلوبهم من النور الذي يجعله علما على ذلك , والتمكن في مقام البقاء حنى تحصل لهم القوة في مخالطة الناس وتحمّل أذاهم ولم يكن ذلك الا بعد رسوخهم في اليقين بالله تعالى , فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الادب والغفلة عن الله بل نزلوا اليها بالادب التام مع الخلق واليقظة الكاملة بمشاهدة الحق فانهم يرون الله في كل مشهود, فاذا اذاهم شخص تحملوه لله الذي اوجده ورأوا ان الذي سلّطه عليهم مولاهم لذنب فعلوه لا يليق بهم , واذا اكرمهم شخص شكروه مع ملاحظة أن الذي حرّك قلبه للاكرام مولاهم ولم ينزلوا الى الحظوظ بالشهوة النفسانية والمتعة اي التمتع بها كما هو مقصد اصحاب النفوس الدنية بل دخلوا في ذلك كله من الحقوق والحظوظ بالله مستعينا ولله ملاحظا ومن الله أخذين , والى الله متوصلين , فتدبر ذلك **!**

والى ذلك الاشارة بقوله : **(وقل رب ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق)** اي والمراد هنا اشارة الى السفرين : سفر الترقي لانه دخول على الله عز وجل في حالة فناءه عن رؤية غيره , والمخرج هو سفر التدلي لانه خروج الى الخليقة لفائدتي الارشاد والهداية فتحققه وتمكّنه في هذين المقامين اي مقام الفناء والبقاء هو صدقية مدخله ومخرجه , فالمدخل الصدق : أن يشاهد في سفر الترقي قوة الله وقدرته , فتنتفي عنه بذلك نسبة الاعمال الى نفسه , والمخرج الصدق : ان ينقاد الى ربه في

سفر التدلي ويرضى بما نقله اليه فينتفي بذلك عنه مراعاة حظه . ثم قال : **(واجعل لي من لندك سلطانا نصيرا)** ينصرني وينصر بي ولا ينصر علي وينصرني على شهود نفسي ويغنيني عن دائرة حسي اي واجعل لي من عندك يا الله سلطانا نصيرا اي مددا الهيا لا يصادمه شيء الا دمغه , ينصرني على اعدائي وينصر بي احبابي الذين اقمتني لارشادهم ولا ينصر علي احدا من النفس والهوى والشيطان فان ذلك من علامات الخذلان ثم خص النفس لكونه اعدى الاعداء بقوله ينصرني على شهود نفسي حتى اشهدها على حقيقة الامر من كمالها فارفع همتي عن الخلق وارتفع عن الرذائل وعلى حقيقة الامر من نفسها فلا اقع في حظوظها ولا أدعي لها شيأ ولا أرى نسبة ولا قدرا , (ويغنيني عن دائرة حسي) عما يدور به حسي من الاكوان والاثار والاغيار المستحسنة حتى اصل بعدم التعلق بها الى درجات الكمال .

فلا شكّ ان من تحقّق وتمكّن في المقامين مقام الفناء ومقام البقاء هو خير خلق الله فهذا هو المراد من قول الناظم " خير خلقه "

قال الشيخ محمد امين الكردي في " تنوير القلوب " : فاذا بلغه (اي مقام المحبة) العبد استبطأ الموت شوقا الى ربه وأخذ في التواجد والتطاير الى حضرة ربه , قيل لبعض الحكماء : لو شاء الله ان يديم البقاء لأوليائه في الدنيا فقال : يأبى الله ان يجعل الخلود لأوليائه واحبابه ما عنده من جزيل كرامته اما تعلمون ان الحبيب يشتاق الى حبيبه فطوبى لمن كان روحه وراحته في لقاء الله .

ولما احتضرت السيدة نفيسة وهي صائمة الزموها الفطر فقالت : واعجباه الى منذ ثلاثين سنة اسأل الله ان القاه صائمة أفأفطر الان **!!** , هذا لا يكون ثم انشدت :

اصرفوا عنى طبيبي ودعوني وحبيبي

زادني شوقي اليه وغرامي ونحيبي

ثم ابتدأت في سورة الانعام فلما وصلت الى قوله تعالى : (لهم دار السلام) خرج السر الالهي اي خرج روحها .

وقال جنيد : دخلت على السري السقطي في مرضه فقلت له : كيف نجدك ؟ فقال :

كيف اشكو الى الطبيب لما بي والذي قد اصابني حبيبي

ليس لي راحة ولا لي شفاء من سقامي الا بوصل حبيبي

وحكي ان رجلا من اهل البصرة بكى لشوقه حتى ذهبت عيناه ثم قال : الهي الى متى القاك فبعزتك لو كانت بيني وبينك نار تلتهب ما رجعت عنك بعونك وتوفيقك حتى اصل اليك ولا ارضى منك بدونك

قال ابراهيم بن ادهم : دخلت جبل لبنان فاذا انا بشاب قائم يقول : يا من قلبي له محب ونفسي له خادمة شوقي اليه شديد متى ألقاك , فقلت رحمك الله ما علامة حب الله ؟ , قال : حب ذكره ما علامة المشتاق قال : ان لا ينساه في كل حال . انتهى

وقيل : جاء احمد بن حامد الاسود الى عبد الله بن مبارك فقال : رأيت في المنام أنك تموت بعد سنة فلو استعددت للخروج , فقال له عبد الله بن مبارك : لقد أجلتنا الى امد بعيد أعيش انا الى سنة لقد كان لي انس بهذا البيت الذي سمعته من هذا الثقفي يعني ابا علي :

يا من شكا شوقه من طول فرقته # اصبر لعلك تلقي من تحب

. انتهى . منقول من كلام الشيخ محمد امين الكردي في تنوير القلوب

وفي تلك الحكايات التي ذكرها الشيخ محمد امين الكردي في " تنوير القلوب " : انهم تحركهم محبة روحانية عميقة في قلوبهم فظهرت أثارها على ألسنتهم وأحوالهم

قال الشيخ العلامة محمد حياة السندي المدني في " شرح الحكم الحدادية ": وهو- اي من كانت هذه حالته - معذور في هذه الحالة في تقصيره في حقوق نفسه وحقوق اخوانه لكونه مسلوب اللب عما سوى معبوده .

قال الامام الغزالي في " احياء علوم الدين " : من علامات المحبة كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوقي من اظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبوب واجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره , فان الحب سر من اسرار الحبيب ولانه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المعنى ويزيد عليه فيكون ذلك من الافتراء وتعظم العقوبة عليه في العقبى وتتعجل عليه البلوى في الدنيا نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه حتى يدهش فيه وتضطرب احواله فيظهر عليه حبه فان وقع ذلك من غير تحمل او اكتساب فهو معذور لانه مقهور , وربما تشتعل من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد يفيض القلب به فلا يندفع فيضانه , فينبغي ان يظهر حبه من غير قصد منه الى اظهار الحب ولا الى اظهار الفعل الدال على الحب بل ينبغي ان يكون قصد المحب اطلاع الحبيب فقط , فـأما ارادته اطلاع غيره فشرك في الحب وقادح فيه , فاظهار القول والفعل كله مذموم الا اذا غلب سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الاعضاء فلا يلام فيه صاحبه

قال العلامة ابن غانم المقدسي في " حل الرموز ومفاتيح الكنوز " : اما اهل التمكين فانهم علموا وكتموا ما علموا لما يعلمون من ضعف احتمال عقول اطفال العقول .

(صح انكار الفقيه على الصوفي ولا عكس)

تنبيه :حكم الفقه عام في العموم لان مقصده اقامة رسم الدين ورفع مناره واظهار كلمته وحكم التصوف خاص في الخصوص لانه معاملة بين العبد وربه من غير زائد عن ذلك فمن ثم صحّ انكار الفقيه على الصوفي ولم يصح انكار الصوفي على الفقيه كما قال الشيخ المحقق احمد الزروق في " قواعد التصوف " , لان حكم علم الفقه غير مخصوص به بل متعد الى غيره من صوفي وغيره , ولان حكم علم الصوفي قاصر عليه غير متعد الى الفقيه وايضا فان الفقيه اذا ادعى الفقه لم يدع الا أمرا ظاهرا لا يخفى فيه الصدق والكذب , فما تعين منهما عمل بمقتضاه , والصوفي اذا ادعى مقاما من المقامات ادعى امرا خفيا يلتبس على أكثر الناس فينكر عليه ليتميز المحق والباطل . انتهى

قوله : (فمن عظيم شأنه لم تحوه) اي فبسبب عظمته وجلاله قلوبهم لم تستطع ان تدركه ادراك احاطة

قال الله تعالى : (وما قدروا الله حق قدره) , وقال تعالى : (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار) اي لا تدرك ابصار الوجوه ولا ابصار القلوب ادراك احاطة لاستحالة الحدود والنهاية عليه تعالى وانه ليس كمثله شيء ولا تبلغ معرفة حقيقة ذاته اذ لا يعرف حقيقة ذاته الا هو

قال الامام احمد الصاوي في " حاشيته على تفسير الجلالين " : اما رؤية العارفين له في الدنيا بمعنى شهود القلب له في كل شيء فهو جائز , بل هو غاية مطلبهم ومقصودهم ومناهم . انتهى

وهذه المنزلة تسمى مقام المشاهدة هي التي قال عنها النبي عليه الصلاة والسلام (ان تعبد الله كأنك تراه) فهي ان يتنور القلب وتنفذ البصرية في العرفان حتى يصير الغيب كالعيان وهذا هو حقيقة المقام المشار اليه في قوله صلى الله عليه وسلم (كأنك تراه) ويتفاوت اهل مقام الشهادة بحسب قوة نفوذ البصائر وهي مقام فوق مقام المراقبة التي هي العلم واليقين بأطلاع الحق عز وجل على ظاهر العبد وباطنه وهي التي فيها قال عليه الصلاة والسلام (فان لم تكن تراه فانه يراك)

واما الرؤية في الدار الاخرة فالدليل عليها :

قوله تعالى : **(وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة)**

وقوله تعالى : **(على الارائك ينظرون)**

وقوله تعالى : **(للذين احسنوا الحسنى وزيادة)** قال الشيخ العلامة احمد الصاوي في حاشيته على " جوهرة التوحيد " : فالحسنى هي الجنة والزيادة هي رؤية الله , وعليه جمهور المفسرين

قال الامام ابراهيم اللقاني في شرحه الكبير على جوهرة التوحيد المسمى " عمدة المريد في شرح جوهرة التوحيد " : وههنا تنبيه مهم وهو ان عبارة القرطبي التي نقلنا فيها أن اهل الجنة ينظرون بكل جارحة , ومراده بكل جزء من اجزاء ابدانهم , وقد تفحصت عن ما يوافق ما قاله حتى وقفت عليه لشيخ مشايخنا سيدي عبد الوهاب في " القواعد الكشفية " حيث نقل فيه عن بعضهم : أن رؤية العبد ربه في الجنة تكون بجميع الاجزاء البدنية , وعن بعضهم انها تكون بجميع اجزاء الوجه , ورجح الاول واختاره هو فيها , وعليه فقول المتكلمين يراه المؤمنون بأبصارهم اقتصار على ما هو الة الرؤيا عادة بيان لما هو المألوف . انتهى

قال الشيخ العلامة ابراهيم البيجور في " تحفة المريد " والحاصل أن الله سبحانه وتعالى يرى من غير تكيف من الكيفيات المعتبرة في رؤية الاجسام ومن غير احاطة بل يحار العبد في العظمة والجلال ولا يعرف اسمه ولا يشعر بمن حوله من الخلائق فأن العقل يعجز هنالك عن الفهم ويتلاشى الكل في جنب الله . انتهى

قوله (اشربت) اي اختلطت

قوله (معنى الضمير الشأن) : ضمير الشان هو الهاء في قوله تعالى (فاعلم انه لا اله الا الله)

والمعنى فاعلم ان الشأن اي كلمة التوحيد " لا اله الا الله "

قوله (الحان) اي الحانة وهي حانوت الخمر والمشروبات المسكرة والمراد بها مقام المحبة او حضرة الرب

فكان على سبيل المجاز بالاستعارة التصريحية الاصلية المرشحة , وتقريره أن يقال : شبه مقام المحبة بحانوت الخمر بجامع ان كلا مكان السرور والسكر , ذكر المشبه به الذي هو " الحان " وحذف المشبه الذي هو" مقام المحبة " , واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه على سبيل المجاز بالاستعارة التصريحية الاصلية المرشحة لان الالحان جمع لحن وهي نغمات الاوتار الموسقية وكان ترشيحا لانه لفظ ملائم للمستعار منه زائد عن القرينة .

(اين الوصول ؟!)

(تنبيه) : قال شيخ الاسلام زكريا الانصاري في " الاضواء البهجة في ابراز دقائق المنفرجة " : ينبغي للعبد ان يعلم انه لم يصل الى شيء , فأين الوصول ؟! , أو لا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستغفر في اليوم مائة مرة , واستغفاره انما بحسب اختلاف رتب التجلي له حتى يرى أن كل تجل بالنسبة الى ما فوقه موجب للاستغفار قال : لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . انتهى

(ثم الصلاة مع سلام لائق   على النبي افصح الخلائق)

قوله (ثم) للترتيب الرتبي لان حق الله مقدم على حق المخلوق فان الحمدلة ثناء على الله تعالى , والصلاة والسلام ثناء على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل المخلوقات

قوله (الصلاة) ومعنى الصلاة من الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم هي : رحمته المقرونة بالتعظيم .

قال بعض العلماء : المراد من تعظيمه تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم : اعلاء ذكره ورفع قدره وتضعيف اجره ومثوبته وتشفيعه في امته واعطاءه المقام المحمود

واما معنى الصلاة من الملائكة وغيرهم على النبي صلى الله عليه وسلم : الدعاء بالصلاة من الله على نبيه صلى الله عليه وسلم , والمراد بالدعاء هنا : طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة

قال الشيخ العلامة محمد علي الصابوني في " روائع البيان " : قد يقول القائل : اذا صلى الله وملائكته عليه فأي حاجة الى صلاتنا عليه ؟ , نقول : الصلاة عليه ليس لحاجته اليها والا فلا حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة الله عليه , وانما هو لأظهار تعظيمه عليه الصلاة والسلام ليثيبنا الله تعالى عليه , ولذا قال عليه الصلاة والسلام : (من صلى علي مرة صلى الله بنا عشرا) فالغرض هو رفع قدره , وتكريم امته بتضعيف الأجر بالصلاة عليه

قوله (سلام) : طيب التحية اي زيادة الاكرام

قوله (لائق) اي يليق بمكانته الرفيعة صلى الله عليه وسلم

قوله (النبي) : مأخوذ من " النبأ " بمعنى الخبر لانه مخبر بكسر الباء فانه مخبر عن الله ان كان رسولا نبيا ايضا, فان كان نبيا فقط فانه مخبر عن حاله بالنبوة , او مخبر بفتح الهمزة لان جبريل يخبره عن الله

او مأخوذ من النبوة وهي الرفعة والارتفاع لانه مرفوع الرتبة فانه ما من نبي الا وهو افضل من امته , او رافع من اتبعه

فالنبي على وزن فعيل : صالح لاسم الفاعل بمعنى " مخبر " بكسر الباء او " رافع " , ولاسم مفعول بمعنى " مخبر " بفتح الباء او " مرفوع " .

وعبر الناظم بالنبي لا بالرسول اشارة الى انه يستحق الصلاة والسلام بوصف النبوة كما يستحقها بوصف الرسالة وموافقة لقوله تعالى : (ان الله وملائكته يصلون على النبي)

(نبينا محمد صلى الله عليه وسلم افصح الخلق على لاطلاق)

قوله (افصح الخلائق) اي اشد الخلائق فصاحة في كلامه و لسانه , قال الامام عبد الله سراج الدين الحسيني في كتابه " سيدنا محمد رسول الله " كان رسول الله افصح الخلق لسانا واوضحهم بيانا اوتي جوامع الكلم وبدائع الحكم وقوارع الزجر وقواطع الامر والقضايا المحكمة والوصايا المبرمة و المواعظ البالغة والحجج الدامغة والبراهن القاطعة والادلة الساطعة

قال الامام السيوطي في كتابه " المزهر في اللغة " : افصح الخلق على الاطلاق سيدنا ومولانا رسول الله حبيب رب العالمين جل وعلا . انتهى

وفصاحته من سببين :

السبب الاول هو بيئة اجتماعية , فقد بيّن ذالك امام اهل اللغة ابو عثمان الجاحظ في " كتاب الرسائل الأدبية " فقال : لانه كان من جماهير العرب مولده في بني هاشم واخواله من بني زهرة ورضاعه في بني سعد بن بكر ومنشؤه في قريش ومتزوجه في بني اسد بن عبد العزى ومهاجره الى بني عمرو وهم الاوس

والخزرج من الانصار ولو لم يكن مما عددنا من هؤلاء الاحياء الا قريش لكان فيها مستغنى عن غيرها لان قريشا افصح العرب لسانا وافضلها بيانا واحضرها جوابا واحسنها بديهة وأجمعها عند الكلام قلبا .

بل زاد على ذلك فكان يخاطب كل ذي لغة بلغته اتساعا في الفصاحة على جميع لغات العرب ولهجاتهم

كما ورد في المسند وغيره عن كعب بن عاصم الاشعري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ليس من امبر امصيام في امسر) . اي ليس من البر الصيام في السفر , بابدال اللام ميما في ثلاثة الكلمات , على لغة بعض اهل اليمن حيث خاطبهم النبي بلغتهم .

ومن ذلك حديث عطية بن عروة السعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما قال له : (فان اليد العليا هي المنطية والسفلى هي المنطاة) فكلمنا رسول الله بلغتنا اي بلغة بني سعد وهي ابدال العين نونا

قال الامام الحافظ القسطلاني في " المواهب اللدنية " : وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه ان يكلم كل ذي لغة بليغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب الفاظها واسالب كلمها, كان احدهم لا يتجاوز لغته , وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربي , وما ذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرّا , والى الناس سودا وحمرا , والكلام باللسان يقع في غاية البيان , ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا في الترجمة نازلا عن صاحب الاصالة في تلك اللغة , الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم فانه زاده تكريما وشرفا , تكلم في كل لغة من لغة العرب افصح وأنصع لغاتها منها بلغة نفسها , وجدير به ذلك , فقد اوتي القوى ابشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس ما لا يضبطه قياس ولا يدخل في تحقيقه الباس . انتهى

والسبب الثاني : الوحي , وهذا هو السبب الاعظم الحقيقي لان الله تعالى زكى نطقه فقال عز وجل : (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) , وقال عز وجل : (نزل بك الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) .وروى الامام البيهقي في " شعب الايمان " عن محمد بن ابراهيم بن الحرث

التيمي : أن رجلا قال يا رسول الله ما افصحك , فما رأينا الذي اعرب منك , قال حق لي فانما انزل القران علي بلسان عربي مبين .

فكيف لا يكون افصح خلق الله تعالى وقد اتاه فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه . قال صلى الله عليه وسلم : (اوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه) . فتعد فصاحة النبي عليه الصلاة والسلام من ابرز مظاهر عظمته واوضح دلائل نبوته فهو صلى الله عليه وسلم صاحب اللسان المبين والمنطق المستقيم والمعجزة الخالدة والحكمة البينة والحجة البالغة والكلمة الصادقة والموعظة الحسنة , اذ القول البليغ الفصيح اداة نصرة الحق وتأييده ووسيلة الدعوة الى الله بالمعجزة الخالدة والحجة البالغة والحكمة البينة والكلمات الصادقة والموعظة الحسنة , وهل يتصور , وهل يعقل , وهل يقبل ان يكون الباطل اقوى حجة وافصح بيانا من دعاة الحق الذين اصطفاهم الله لوحيه وتبليغ رسالاته .

(محمد والال والاصحاب من اتقنوا القران بالاعراب)

قوله : (محمد) هو افضل اسماءه صلى الله عليه والسلام , والمسمي بهذا الاسم حقيقة هو الله تعالى لانه سبحانه اظهر اسمه قبل ولادته فهو بتوقيف شرعي , واما من سمى الرسول الامين محمد من جهة التاريخ فله روايتان :

الرواية الاولى : هي جد الرسول المصطفى " عبد المطلب " هو من سماه صلى الله عليه وسلم بهذا الاسم بالألهام على الصحيح كما قال الشيخ العلامة ابراهيم البيجوري في " تحفة المريد " .

قال الامام البيهقي في " دلائل النبوة " : اخبرنا ابو عبد الله الحافظ , انبأني محمد بن كامل القاضي - شفاها - ان محمد بن اسماعيل حدثه يعني - السلمي - حدثنا ابو صالح عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح

عن ابي الحكم التنوخي قال : كان المولود اذا ولد في قريش دفعوه الى نسوة من قريش الى الصبح يكفأن عليه برمة - (كان في عهد الجاهلية اذا ولد لهم مولود من الليل وضعوه تحت البرمة الى الصبح , والبرمة يعرفها الاولون هي اناء كبير من حجارة او صخور او طين , ذكر هذا المعنى الشيخ احمد موسى في شرحه على " كتاب هذا الحبيب يا محب " للشيخ العلامة ابي بكر الجزائري) - فلما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه عبد المطلب الى نسوة , فكفأن عليه برمة فلما اصبحن اتين فوجدن البرمة قد انفلقت عنه باثنتين ووجدن مفتوح العينين شاخصا ببصره الى السماء فأتاهن عبد المطلب فقلن له ما رواينا مولودا مثله ووجدناه قد انفلقت عنه البرمة ووجدناه مفتوحاعينيه شاخصا ببصره الى السماء

فقال : احفظنه قاني ارجو ان يكون له شأن او يصيب خيرا , فلما كان اليوم السابع ذبح عنه ودعا له قريشا , فلما أكلوا قالوا : يا عبد المطلب : أرأيت ابنك هذا الذي اكرمت على وجهه , ما سميته ؟ , قال : سميته محمدا , قالوا : فلما رغبت به عن أسماء اهل بيته ؟ , قال : اردت ان يحمده الله تعالى في السماء وخلقه في الارض .

قال الشيخ الصالحي الشامي في " سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد " : قال بعض اهل الاشارة في انفلاق البرمة عنه صلى الله عليه وسلم اشارة الى ظهور امره وانتشاره وأنه يفلق ظلمة الجهل ويزيلها .

والرواية الثانية : ان الذي سماه محمد هي امة السيدة امنة , قال الامام البيهقي " دلائل النبوة " : اخبرنا ابو عبد الله الحافظ قال حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب , قال : حدثنا احمد بن عبد الجبار قال : حدثنا يونس بن بكير عن بن اسحاق قال : فكانت امنة بنت وهب ام رسول الله صلى الله عليه وسلم تحدث انها اتيت حين حملت بمحمد صلى الله عيه وسلم فقيل بها : انك قد حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع الى الارض فقولي : اعيذه بالواحد من شر كل حاسد من كل بر عاهد وكل عبد رائد يرود غير رائد فانه عبد الحميد الماجد حتى اراه قد اتى المشاهد , اية ذالك ان يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من ارض الشام فاذا وقع

فسميه محمدا فان اسمه في التورة " احمد " يحمده اهل السماء واهل الارض واسمه في الانجيل " احمد " يحمده اهل السماء والارض واسمه في الفرقان " محمد " فسميته بذالك .

قال الامام ابن رجب في " لطائف المعارف " : وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به اهل الارض , وزالت به ظلمة الشرك . كما تعالى : (قد جاء كم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام) , واما اضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته بأنها دار ملكه كما ذكر كعب ان في الكتب السابقة محمد رسول الله مولده بمكة بدئت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والى الشام ينتهي ملكه ولهذا اسري به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر ابراهيم عليه الصلاة والسلام من قلبه الى الشام , وبالشام ينزل عيسى بن مريم عليه السلام في أخر الزمان وهو المبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحكم به ولا يقبل من احد غير دينه فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلى خلف امام المسلمين ويقول : ان هذه الامة ائمة بعضهم بعضا اشارة الى انه متبع لدينهم غير ناسخ له , والشام في أخر الزمان ارض المحشر والمنشر فيحشر الناس اليهم قبل القيامة من اقطار الارض فيهاجر خيار اهل الارض الى مهاجر ابراهيم وهي ارض الشام طوعا .

والحاصل كما قال الامام ابو الفرج الحلبي الشافعي في " السيرة الحلبية " : وهذا الالهام لا ينافي ان تكون امه قالت له انها امرت ان تسميه بذالك , وقد حقق الله رجاءه بأنه صلى الله عليه وسلم تكاملت فيه الخصال المحمودة والخلال المحمودة فتكاملت له صلى الله عليه وسلم المحبة من الخالق والخليقة فظهر معنى اسمه على الحقيقة . انتهى

(من هم ال النبي)

(والال) : قال الشيخ العلامة احمد الصاوي في حاشيته على جوهرة التوحيد : والال في مقام الزكاة بنو هاشم والمطلب عند الامام الشافعي , وبنو هاشم عند المالكية والحنابلة , وخصت الحنفية فرقا خمسة من بني هاشم , ال علي , وال جعفر , وال عقيل , وال العباس , وال الحارث بن عبد المطلب , واما في مقام المدح والثناء الوارد في الكتاب والسنة اقاربه , واما في مقام الدعاء فأتقياء امته اما بتقوى الشرك بالايمان , واما بتقوى المعاصي بالطاعات , واما بتقوى الاغيار بالتوجه للواحد القهار وهذا مقام خواص الخواص كالانبياء والكمل من غيرهم . انتهى فالال في مقام الدعاء كل مؤمن ولو عاصيا لانهم اشد حاجة الى الدعاء

قال الشيخ العلامة ابراهيم الباجوري في " حاشيته على فتح القريب " : قال بعض المحققين ينظر للقرينة فان دلت على ان المراد بهم الاقارب حمل عليهم كقولك : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى اله الذين اذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا , وان دلت على ان المراد بهم الاتقياء حمل عليهم كقولك اللهم صل على سيدنا محمد وعلى اله الذين اخترتهم لطاعتك , وان دلت على أن المراد بهم كل مسلم ولو عاصيا حمل عليهم كقولك : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى اله سكان جنتك , والحاصل لا يطلق القول في تفسير الال بل يعول على القرينة .

قلت : والقرينة هنا دلت على أن المراد بهم العلماء من اتقياء امته بدليل أن الناظم ابدل من الال والاصحاب بقوله : (من أتقنوا القرأن بالاعراب) والذين اتقنوا القرأن بالاعراب هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء كما جاء في الحديث الصحيح . والله سبحانه وتعالى اعلم .

(محبة اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم)

تنبيه : يجب علينا ان نحب لاخواننا المسلمين مثل ما نحب لانفسنا من الخير فمحبة اهل البيت من باب الاولى ومن صميم عقيدة اهل السنة والجماعة وهي من حقوقهم علينا كما من حقهم علينا نصرتهم واكرامهم والذب عنهم سواء الاحياء منهم والاموات, ويستحب الصلاة عليهم في التشهد فيقول المصلي : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد

فانظر الى هذه الرواية التي رواها الامام ابن المقري في كتابه " الرخصة في تقبيل اليد " فتقرّ بها عيناك : حدّثنا محمد بن علي , حدّثنا ابو يشجع يعرف ابن خيران , حدّثنا علي بن محمد بن شبيب , حدّثنا احمد بن علي بن زيد , حدّثنا الحسن بن داود الاحمر , حدّثنا حماد بن سلمة , عن عمار بن ابي عمار : ان زيد بن ثابت ركب يوما (1), فأخذ ابن عباس بركابه فقال : تنح يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : هكذا امرنا ان نفعل بعلمائنا وكبرائنا , فقال زيد : ارني يدك فأخرج يده فقبّلها فقال : هكذا امرنا ان نفعل بأهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم

ولكن ينبغي لنا ان نحذر من ان نقع في الغلو في محبتهم , لانه يخشى عليهم ان يؤدي الى اغترارهم , ونحن لا نحب ان يكونوا مغترين و لا نحب ان نكون سببا لاعترارهم , فعدم الغلو في محبتهم من محبتهم , فعلينا بصدق المحبة ولزوم الوسط فيها فان خير الامور اوسطها , فخير المحبة اوسطها , فنحن نعطيهم خير المحبة . انتهى

---

(1) وفي رواية في المستدرك على الصحيحين للامام ابي عبد الله الحاكم : عن عمر بن دينار : انّ ابن عباس وزيد بن ثابت شهدا جنازة فلما اراد زيد ان يركب أخذ ابن عباس بركابه فقال : تنح يا ابن اخي فقال : هكذا يصنع بالعلماء .

(تعريف الصحابة)

(والاصحاب) : عطف على الال من عطف العام عموما وجهيا على القول بانهم اقاربه صلى الله عليه وسلم , لاجتماع الال والصحابة فيمن كان من اقاربه واجتمع به كسيدنا علي رضي الله عنه , وانفرد الال في من كان من اقاربه ولم يجتمع به كأشراف زماننا هذا , وانفرد الصحابة فيمن اجتمع به ولم يكن من اقاربه كأبي بكر الصديق , وعطف الخاص على العام على القول بانهم كل مؤمن ولو عاصيا فخصّهم الناظم مع دخولهم في الال بالمعنى الاعم لشرفهم ولمزيد الاهتمام بهم . هكذا ذكر الشيخ العلامة ابراهيم الباجوري في كتابيه شرحه على جوهرة التوحيد المسمى بتحفة المريد وحاشيته على فتح القريب

والمراد بهم : من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به بعد النبوة وقبل وفاته لقيا متعارفا بان يكون بالاجسام في الارض في حال اليقظة وان لم يره او لم يرو عنه شيأ او لم يميز وان لم يجتمع به الا لحظة سواء كان من الانس او من غيرهم

(شرح تعريف الصحابة)

قوله (من لقي النبي مؤمنا بعد النبوة ولو قبل الامر بالدعوة وقبل وفاته)

خرج به :

- من لقي النبي كافرا به كأبي لهب وابي جهل ونحوهما فلا يعدوا صحابيا

- من لقي النبي قبل الرسالة نحو بحير فلا يعدّ صحابيا

- من لقي النبي كافرا به ثم اسلم بعد وفاته كالتنوخي رسول هرقول

- من أمن به ولقيه بعد وفاته كأبي ذؤيب الهذلي

ودخل به : ورقة بن نوفل فانه لقي النبي وأمن به بعد النبوة وقبل الامر بالدعوة فيعدّ صحابيا لان ما ورد في الصحيح من ذهاب الخديجة بالنبي صلى الله عليه وسلم اليه بعد مجيئ الملك له بسورة (اقرأ) , فقالت

له خديجة : يا ابن عم اسمع من أخيك , فقال له ورقة يا ابن اخي ماذا ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى , فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جزعا , ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : او مخرجي هم ؟ , قال : نعم , لم يأت رجل قط بمثل ما جئت الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصر مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفي وفتر الوحي

قال الامام جلال الدين السيوطي في " تدريب الراوي " : ينبغي ان يقال : ان اول من أمن من الرجال ورقة بن نوفل لحديث الصحيحين في بدء الوحي

وقال الامام العلامة جمال الدين محمد الاشخر اليمني في " شرحه على بهجة المحافل " : يكفي ذلك في عدّه في الصحابة كما هو ظاهر كلامهم حيث عدّوا من لقي النبي صلى الله عليه وسلم ولو مرة مؤمنا ومات على ذلك صحابيا وقد علم مما مر ايمان ورقة وتمنيه نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله (بالاجسام في الارض) : فالانبياء الذين اجتمعوا به في السموات او في بيت المقدس ليلة الاسراء لا شك انهم لا يطلق عليهم اسم الصحبة لان هذا الاجتماع بعد وفاتهم او بارواحهم المتشكلة بصور الاجسام مع كون مقاماتهم أجلّ واعظم من رتبة اكبر الصحابة

واما نبي الله عيسى عليه السلام وهو حي الى الان بالاجماع فقد ثبت ان النبي رأه ببيت المقدس في ليلة الاسراء كما في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة : وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى -عليه السلام - قائم يصلي فاذا هو رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة واذا عيسى بن مريم - عليه السلام - قائم يصلي اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي واذا ابراهيم عليه السلام قائم يصلي اشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأممته . وظاهر هذا انه رأه ببيت المقدس واذا كان كذلك فلا مانع من اطلاق الصحبة عليه ولو كان في الحقيقة هو غني عن أن يوصف بأنه صحابي لان مقامه اجلّ واعظم

من رتبة اكبر الصحابة لانه نبي ورسول اؤلي العزم , ومن اجل تحرير تعريف الصحابي في هذا الباب فلا مانع من اطلاق الصحابة عليه .

وجاء في مسند الامام احمد ان النبي عليه الصلاة والسلام صلى بجميع الانبياء : عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الاقصى قام يصلي فالتفت ثم التفت فاذا النبيون اجمعون يصلون معه . رواه احمد

واما خضر والياس فان كانا حيان كما قيل ولقيا النبي ببيت المقدس فالظاهرانهما يعدا من الصحابة داخلان في امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . والله اعلم

قوله : (في حال اليقظة) فلو اجتمع به شخص في المنام في حال حياته او بعد وفاته لا يكون صحابيا

قوله : (وان لم يره) فيدخل ابن ام مكتوم ونحوه من العميان

قوله (او لم يميز) على المعتمد , فيدخل من حنّكه بالتمر من الصبيان كعبد الله بن الحارث وكذلك من مسح النبي وجهه كعبد الله بن ثعلبة او رأه في مهده كمحمد بن ابي بكر , أو بال في حجره كابن أم قيس او تفل في فيه كمحمد بن حاطب وهو الصحيح , قال الشنواني في " حاشيته على جوهرة التوحيد " : وقد عدوا محمد بن ابي بكر صحابيا مع ولادته قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بثلاثة اشهر , والتييز انما يشترط لتلقي الرؤية فقط .

قال الامام ابن حجر العسقلاني في الاصابة في تمييز الصحابة : نعم , يصدق أن النبي رأه (من لم يميز في زمنه) فيكون صحابيا من هذه الحيثية ومن حيث الرواية فيكون تابعيا . انتهى

قوله : (سواء كان من الانس او من غيرهم) : من الجن والملائكة حيث كان لقيا متعارفا بأن يكون بالاجسام في الارض

واما الصحابي من الملائكة فكجبريل عليه السلام لان النبي مع جماعة من الصحابة رأوه بصراحة ووضوح كما فيما رواه الامام مسلم في صحيحه عن عمر رضي الله عنه قال بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد السواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا يعرف منا احد حتى جلس الى النبي فاسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه ... ثم سأل عن الاسلام والايمان والاحسان والساعة فأجاب النبي كل سؤال فيصدّقه جبريل ..... ثم انطلق فلبث مليا ثم قال يا عمر اتدري من السائل قلت : الله ورسوله اعلم , قال فانه جبريل اتاكم يعلّمكم دينكم . رواه مسلم

واما الصحابي من الجن فكما رواه الامام مسلم وما رواه الامام الطبري :

قال الامام مسلم في صحيحه : حدّثنا محمد بن المثنى , حدّثنا عبد الاعلى , حدّثنا داود , عن عامر , قال : سألت علقمة : هل كان ابن مسعود رضي الله عنه شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ , قال : فقال علقمة : انا سئلت ابن مسعود فقلت هل شهد احد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ , قال : لا , ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم , ذات ليلة ففقدناه - (ذهب به بسرعة كأن الطير الكبير حملته او قتل سرا) - فالتمسناه بالاودية والشعاب , فقلنا :استطير ؟ , اغتيل ؟ , قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم , فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا : يارسول الله , فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم , قال : اتاني داعي الجن , فذهب معهم فقرأت عليهم القرأن , قال فانطلق بنا , فأرانا أثارهم واثار نيرانهم , وسألوه الزاد فقال : كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم اوفر ما يكون لحما , وكل بعرة او روثة علف لدوابكم , قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم

وعن عبد الله بن مسعود : لم أكن ليلة الجن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وددت اني كنت معه . رواه مسلم

وفي رواية اخرى عن ابن مسعود يحتمل أنها تابعة وواقعة بعد الرواية التي ذكرت أنفا : اخرج الامام ابن جرير الطبري في تفسيره المسمى " جامع البيان " : حدّثني احمد بن عبد الرحمن بن وهب , حدثن عمي عبد الله بن وهب , اخبرني يونس , عن ابن شهاب عن ابي عثمان بن سنة الخزاعي ان ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة من أحب منكم ان يحضر الليلة امر الجن فليفعل , فلم يحضر احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة خطّ لي خطّا ثم أمرني أن اجلس فيه ثم انطلق حتى قام , فافتتح القران , فغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته , ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط - (الرهط : جماعة من الثلاثة الى العشرة) -, وفرغ رسول الله صلى الله عليه مع الفجر فانطلق فتبرز ثم اتاني فقال : ما فعل الرهط ؟ فقلت هم اولئك يارسول الله فأعطاهم عظما وروثا زادا ثم نهى ان يستطيب احد بروث او عظم .

قال الشيخ الدكتور عبد الكريم عبيدات في كتابه " عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة " : وفي هذا دلالة على ان الجن الذين كلمهم النبي صلى الله عليه وسلم لهم اجسام بحيث يمكن مشاهدتهم فقد تركوا اثرا يدل على تشكلهم وهي اثار مقاعدهم عندما كانوا مجتمعين حول النبي صلى الله عليه وسلم . انتهى .

قال السيد علوي بن محمد السقاف في كتابه " الكوكب الاجوج " : ولما عرّف البيضاوي الجن في تفسير (قل اوحي) بنحو ما مرّ قال : وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم ما رأهم ولم يقرأ عليهم وانما اتّفق حضورهم في بعض اوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله بذلك انتهى , وكأنه (اي البيضاوي) لم يطلع على الاحاديث الصحيحة الكثيرة المصرحة برؤيته صلى الله عليه وسلم وقراءته عليهم وسؤلهم منه الزاد لهم ولدوابهم على كيفيات مختلفة - (اي على صفات و صور مختلفة) - . انتهى

كان اسلام الجن ووفادتهم على النبي صلى الله عليه وسلم كوفادة الانس فوجا بعد فوج وقبيلة بعد قبيلة وحدث ذلك اكثر من مرة بمكة وبعد الهجرة في المدينة المنورة ولهذا فهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

ويشترط لدوام الصحبة ان يكون الموت على الاسلام لا لاصلها

قال الامام المحدث العلامة ابراهيم الشبرخيطي المالكي في " الفتوحات الوهية شرح الاربعين النووية " : واما من ارتد بعد صحبته - (والصحبة من اشرف الاعمال) - فقضية مذهب مالك احباط العمل بمجرد الردة لانهم يرون احباط العمل بها فلا يسمى صحابيا الا اذا عاد الى الاسلام ولقي النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن أبي سرح , وقضية من لا يرى الاحباط الا بالموت كالشافعية انه يسمى صحابيا اذا عاد للاسلام بعد موته صلى الله عليه وسلم (اي اذا عاد للاسلام ولو بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم) كما في الاشعث بن قيس فانه ارتدّ واتي به اسيرا لابي بكرفعاد للاسلام و قبل منه وزوّجه اخته . انتهى

قال الشيخ العلامة حسن المدابغي الشافعي : فعبد الله بن ابي سرح من الصحابة على المذهبين , والاشعث بن قيس ونحوه كقرة بن هبيرة من الصحابة عندنا معاشر الشافعية . انتهى

لكنهم (اي الشافعية) قالوا : واذا عاد الى الاسلام تعود له الصحبة وبقية اعماله مجردة عن الثواب فلا يجب عليه قضاءها اي فلا يجب عليه قضاء الصلاة مثلا قد صلاها قبل الردة , بل تجب عليه قضاء ما فاته في زمن ردته بعد اسلامه تغليظا عليه

(مراتب الصحابة)

فيحصل مما ذكر ان الصحبة تنقسم الى ثلاث مراتب , وقد قسم الامام الحافظ ابن الجوزي الصحبة الى ثلاث مراتب كما نقلها الشيخ العلامة محمد السفاريني في " لوامع الانوار البهية " :

الاولى : من كثرت معاملته ومخالطته للنبي صلى الله عليه وسلم بحيث لا يعرف صاحبها الا بها فيقال هذا صاحب فلان وخادمه لمن تكررت خدمته لا من خدمه مرة واحدة او ساعة او يوما

الثانية : من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ولو مرة واحدة لانه يصدق عليه أنه صحبه وان لم ينته الى الاشتهار به

الثالثة : من رأه صلى الله عليه وسلم رؤية ولم يجالسه ولم يماشه فهذا ألحق بالصحبة الحاقا ولو كانت حقيقة الصحبة لم توجد في حقه ولكنها صحبة الحاقية حكمية لشرف قدر النبي صلى الله عليه وسلم لاستواء الكل في انطباع طلعة المصطفى صلى الله عليه وسلم فيهم برؤيته اياهم او رؤيتهم اياه مؤمنين بما جاء به وان تفاوتت رتبهم رضوان الله عليهم . انتهى

(لا يعلم عدة الصحابة الا الله)

(فائدة) قال الامام احمد الصاوي في حاشيته على " جوهرة التوحيد " : الحق أنه لا يعلم عدة الصحابة الا الله كما لا يعلم عدة الانبياء والاولياء الا الله

(احترام الصحابة والادب معهم)

(تنبيه) : قال الشيخ العلامة محمد باعطية الدوعني في " غاية المنى " : اذا عرفت المراد من الصحابة وجب عليك ان تسلك معهم مقام الادب والاحترام , وذكرهم باللائق من الامور والاعراض عما بدا منهم من البشريات والهفوات والنقائص التي لا تنفكّ عن طبائع البشر , كل ذلك لانهم رأو صاحب المقام الاعلى ونظروا الى وجهه الشريف ولان الله فضلهم في كتابه وخصهم بصحبة رسوله وميزهم على الغير بالنظر الى نوره الذي قال فيه : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قال ابن عباس : اما الكتاب فقد عرفناه , واما النور فمحمد بن عبد الله . انتهى

(الباعث على تدوين النحو)

قوله : (من اتقنوا القران بالاعراب) **اي** اله واصحابه الذين اتقنوا اي احكموا الفاظ القرأن الكريم ومعانيه بالاعراب الصحيح حفاظا عليه من أخطار اللحن , فكيف لا يحكمه الصحابة وهم تلقوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انه نزل بلغتهم وهم ينطقون على سجيتهم , فلما ظهر اللحن و انتشر في الكلام العربي خاف العلماء من الصحابة ومن بعدهم ان يتسرب هذا اللحن الى القران الكريم والحديث النبوي الشريف ففكّروا في وضع قواعد يهتدى بها لحفظ اللغة العربية تكون نبراسا يرجع اليه فبرز الى الوجود هذا النحو الذي غرضه تحصيل ملكة قلبية يقتدر بها صاحبها على معرفة التراكيب اللغوية التي يترتب عليها صحة الكلام وسلامة الاعراب وتحصيل ملكة لسانية يقتدر بها صاحبها على التعبيرعن المقصود بكلام صحيح اي بجريانه على أحكام النحو , فظهور اللحن وانتشاره وخطره هو الباعث على تدوين النحو وذلك ايضا كان عاملا اساسيا في نشوء علوم عربية عديدة واولها علم النحو .

قال الامام ابو بكر الزبيدي في " طبقات النحويين واللغويين " ما ملخّصه : ولم تزل العرب تنطق على سجيتها في صدر اسلامها وماضي جاهليتها , حتى اظهر الله الاسلام على سائر الاديان فدخل الناس فيه افواجا واقبلوا عليه أرسالا , واجتمعت فيه الالسنة المتفرقة واللغات المختلفة ففشا الفساد في اللغة العربية واستبان منه في الاعراب الذي هو حليها والموضح لمعانيها فتفطن لذلك من نافر بطباعه سوء افهام الناطقين من دخلاء الامم بغير المتعارف من كلام العرب فعظم الاشفاق من فشو ذلك وغلبته حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم الى ان سببوا الاسباب في تقييدها لمن ضاعت عليه وتثقيفها لمن زاغت عنه . ولم تزالائمة من الصحابة الراشدين ومن تلاهم من التابعين يحضون على تعلم اللغة وحفظها والرعاية لمعانيها اذ هي من الدين بالمكان المعلوم , فبها انزل الله كتابه المهيمن على سائر الكتب وبلغ رسله صلىالله عليه وسلم وظائف طاعته وشرائع امره ونهيه . انتهى

قال الامام ابن الانباري في " كتاب ايضاح الوقف والابتداء " : حدثني ابي قال : حدثنا ابو منصور قال : حدثنا ابو عبيد قال : حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن الوليد بن محمد بن زيد قال : سمعت ابا جعغر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اعربوا الكلام كي تعربو القران)

وقال : حدثنا محمد بن سليمان قال أخبرنا المسعود قال حدثنا ابو عبيد قال حدثنا عباد بن عباد بن عباد المهلي عن واصل مولى ابي عيينة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا اعراب القران كما تتعلمون حفظه

وقال : حدثني محمد قال : اخبرنا المسعودي قال : حدثنا ابو عبيد قال حدثنا عبد الرحمن مهدي عن سفيان بن سعيد عن عقبة الاسدي عن ابي العلاء قال : قال عبد الله بن مسعود : أعربوا القرأن فانه عربي

وقال : حدثني أبي قال حدثنا عبد الله بن عمر الوراق قال حدثنا اسمعيل بن ابراهيم بن المغيرة المروزي قال حدثنا النضر بن شميل قال حدثنا الخليل بن احمد قال : لحن ايوب السختياني في حرف فقال : استغفر الله . يعني عدّ ذلك ذنبا

قال الامام الحاكم النيسابوري في " المستدرك " : حدثنا ابو علي الحسن بن علي الحافظ أنبأ محمد بن الحسن العسقلاني حدثنا ابو عمير عيسى بن محمد حدثنا ضمرة عن سعد بن عبد الله بن سعد عن ابيه عن ابي الدرداء رضي الله عنه , قال : سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا قرأ لحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارشدوا اخاكم . صحيح الاسناد ولم يخرجاه (التعليق من تلخيص الذهبي : صحيح) .

قال خطيب البغدادي في " الجامع لاخلاق الروي وأداب السامع " : اخبرنا محمد بن احمد بن روق , اخبرنا المظفر بن يحيى الشرابي , اخبرنا احمد بن محمد المرثدي عن ابي اسحاق الطلحي : أن علي بن ابي طالب كان يضرب الحسن والحسين على اللحن .

قال : واخبرنا عبد الرحمن بن عبيد الله الحربي , اخبرنا علي بن محمد بن الزبير الكوفي , اخبرنا الحسن بن علي بن عفان , اخبرنا زيد بن الحباب , حدثني ابو الربيع السمان , حدثنا عمر بن دينار : ان ابن عمر و ابن عباس كان يضربان اولادهما على اللحن .

قال : وأخبرنا ابو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل , حدثنا ابو علي اسمعيل بن محمد الصفار حدثنا محمد بن عيسى العطار , حدثنا كثير بن هشام , حدثنا عيس بن ابراهيم عن الحكم بن عبد الله عن الزهري عن سالم عن ابيه قال : مر عمر بن الخطاب على قوم يرمون رشقا فقال : بئس ما رميتم , فقالوا : يا أمير المؤمنين انا قوم متعلمين , فقال والله لذنبكم في لحنكم اشد على لحنكم في رميكم , سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : رحم الله رجلا اصلح من لسانه . انتهى

قال الاديب اللغوي يقوت الحموي في " معجم الادباء " : قرع رجل على حسن البصري الباب , وقال : يا ابو سعيد فلم يجبه فقال ابي سعيد فقال الحسن قل الثالثة (اي يا ابا سعيد) وادخل **!!** . انتهى

فهذه الامثلة تدل على ان الاوائل كانوا ينظرون في اللحن ويحذرون منه ومن هنا خاف اولو الامروالعلماء ان يتسرب هذا اللحن الى القران الكريم والحديث النبوي الشريف ففكّروا في وضع قواعد يهتدي بها لحفظ اللغة العربية من خطر اللحن تكون نبراسا يرجع اليه فبرز الى الوجود هذا النحو , ومما لا شك ان ظهور اللحن وانتشاره وزحفه الى القران الكريم والحديث النبوي هو الباعث على تدوين النحو.

(اختلفت الروايات في وضع النحو)

منها : أن ابا الاسود هو الذي بدأ هذا العمل بنفسه

قال الامام ابن عساكر في " تاريخ دمشق " : ان ابنته قالت له يوما : يا أبت ما أحسن السماء قال : اي بنية نجومها ؟ , قالت اني لم ارد اي شيء منها احسن انما تعجبت من حسنها قال : اذا تقولي ما احسن السماء

(بنصب " احسن " و " السماء) , فحينئذ وضع كتابا اي دفعه ذالك الى تفكير في وضع النحو وأبتدأ بباب التعجب

قال في طبقات النحويين واللغويين : ابن ابي سعد قال حدثنا علي بن محمد الهاشمي قال : سمعت ابي يذكر قال : كان بدء ما وضع ابو الاسود الدؤلي النحو أنه مر به سعد وكان رجلا فارسيا قدم البصرة مع أهله وهو يقود فرسه فقال : ما لك يا سعد ؟ , الا تركب ؟ , فقال فرسي ضالع , فضحك من حضره , قال ابو الاسود هؤلاء الموالي رغبوا في الاسلام ودخلوا فيه وصاروا لنا اخوة فلو علمناهم الكلام فوضع باب الفاعل والمفعول لم يزد عليه , قال ابي : فزاد في ذالك الكتاب رجل من بني ليث ابوابا , ثم نظر فاذا في كلام العرب ما لا يدخل فيه فأقصر عنه , فلما كان عيسى بن عمر قال : ارى ان اضع الكتاب على الاكثر واسمي الاخرى لغات - (سمع من العرب الكلام المطرد اما القليل فسماه لغة) - هو اول من بلغ غايته في كتاب النحو ويقال : وضع عيسى بن عمر كتابين سمي احدهما " الجامع ", والاخر " المكمل " ,

قال الخليل بن احمد :

بطل النحو جميعا كله # غير ما احدث عيسى بن عمر

ذاك اكمال وهذا جامع # فهما للناس شمس وقمر

ومنها : ان ابا الاسود الدؤلي ابتدأ هذا العمل باشارة من سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قال الامام السيوطي في " الدر المنثور في التفسير بالمأثور " : اخرج ابو بكر محمد بن القاسم الأنباري في " كتاب الوقف والابتداء " وابن عساكر في " تاريخه " : عن بن مليكة رضي الله عنه قال : قدم اعرابي في زمن عمر بن خطاب رضي الله عنه فقال : من يقرئني ما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم , فأقرأه رجل فقال (ان الله بريء من المشركين ورسوله)

بالجر , فقال الاعرابي : أ قد برئ الله من رسوله ؟ ان يكن الله بريء من رسوله فأنا بريء منه , فبلغ عمر مقالة الاعرابي فدعاه فقال : يا أعرابي اتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ , قال : يا امير المؤمنين اني قدمت المدينة ولا علم لي بالقران , فسألت من يقرئني , فأقرأني هذه السورة براءة فقال : (ان الله بريء من المشركين ورسوله) فقلت ان يكن الله بريء من رسوله فأنا بريء منه , فقال عمر رضي الله عنه : ليس هكذا يا اعربي , قال فكيف هي يا أمير المؤمنين ؟ , فقال : (ان الله بريء من المشركين ورسوله) بالرفع فقال الاعرابي : وانا والله أبرأ مما برئء الله ورسوله منه , فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان لا يقرئ الناس الا عالم باللغة , وأمر أبا اسود رضي الله عنه فوضع النحو . انتهى

ومنها : ان وضع النحو باشارة من سيدنا علي رضي الله عنه , وهو رضي الله عنه رسم لأبي الاسود الدؤلي أشياء من اصول النحو فأشار عليه بالزيادة عليها فكتب ابو الاسود وبنى وزاد عليها ثم فرع النحويون من بعده

قال السيد مرتضى الزبيدي في " الفصول المختارة " : اخبرني الشيخ - اي الشيخ مفيد - ادام الله عزه , مرسلا عن محمد بن سلام الجحمي ان ابا الأسود الدؤلي دخل على امير المؤمنين علي رضي الله عنه , فرمى اليه رقعة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام ثلاثة اشياء : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى , فالاسم ما أنبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما اوجد معنى في غيره , فقال ابو الأسد الدؤلي : يا أمير المؤمنين هذا كلام حسن فما تأمرني أن اصنع به فانني لا ادري ما اردت بايقافي عليه , فقال أمير المؤمنين رضي الله عنه : اني سمعت في بلدكم هذا لحنا كثيرا فاحشا فأحببت أن أرسم كتابا من نظر اليه ميز بين كلام العرب وكلام هؤلاء , فابن على ذالك !! , فقال ابو الاسود الدؤلي : وفقنا الله بك يا أمير المؤمنين . انتهى

قال الامام النحوي ابو القاسم الزجاجي في " أماليه " : حدثنا ابو جعفر محمد بن رستم الطبري قال : حدثنا ابو حاتم السجستاني , حدثني يعقوب بن اسحاق الحضرمي ,حدثنا سعيد بن سلم الباهلي , حدثني ابي عن جدي عن ابي الاسود الدؤلي قال : دخلت على علي بن ابي طالب رضي الله عنه فرأيته مطرقا متفكرا فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين قال : اني سمعت ببلدكم هنا لحنا فأردت ان اصنع كتابا في اصول العربية , فقلت :ان فعلت هذا احييتنا وأبقيت فينا هذه اللغة ثم أتيت بعد ثلاث (اي ثلاث ايام) , فألقى لي صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما انبأ عن المسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال : تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا اسود ان الاسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهر ولا مضمر , وانما تتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر - اي مبهم - قال ابو الاسود فجمعت منه اشياء وعرضتها عليه , فكان من ذالك حروف النصب فذكرت منها " ان , وان , وليت , ولعل , وكأن " , ولم أذكر " لكنّ " فقال لي لم تركتها ؟ , فقلت لم أحسبها منها , فقال بل هي منها فزدها فيها . انتهى

قال الشيخ محمد الطنطاوي في كتابه " نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة " : قال ابو الاسود الدؤلي : ثم وضعت بابي العطف والنعت ثم بابي التعجب والاستفهام الى ان وصلت الى باب " ان واخواتها " ما خلا " لكن " فلما عرضته على سيدنا علي رضي الله عنه أمرني بضم " لكن " اليها , وكنت كلما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته عليه الى ان حصلت ما فيه الكفاية , قال : ما احسن هذا النحو الذي قد نحوت , فلذالك سمي النحو . انتهى

ومنها : ان وضع النحو باشارة زياد بن أبيه

قال الامام ابن الانباري في " كتاب ايضاح الوقف والابتداء " : حدثني ابي قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا حيان بن بشر قال حدثنا يحيى بن أدم عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بن ابي النجود قال : اول من

وضع النحو ابو الاسود الدؤلي جاء الى زياد بالبصرة قال : فقال : اني ارى العرب قد خالطت هذه الاعاجم وتغيرت السنتهم أفتأذن لي ان اضع للعرب كلاما يعرفون او يقيمون به كلامهم قال : لا , فجاء رجل الى زياد فقال : " اصلح الله الامير توفي أبانا وترك بنون " فقال زياد : توفي ابانا وترك بنون ؟ , ادع لي ابا الاسود !! فقال ضع للناس الذي نهيتك ان تضع لهم .

قال الامام اللغوي عبد الواحد بن علي ابو الطبيب في " مراتب النحويين " : اخبرنا محمد بن يحيى قال : اخبرنا محمد بن يزيد عن الجرمي عن الخليل قال : لم يزل ابو الاسود ضنينا بما أخذه عن علي رضي الله عنه حتى قال له زياد قد فسدت ألسنة الناس وذالك أنهما سمعا (سقطت عصاتي) فدافعه ابو الاسود . انتهى . لان الصواب ان يقال (عصاي) وهو الذي يوافق النطق العربي الصحيح لان الاسم (عصا) حين يضاف الى ياء المتكلم يقال عصاي لا عصاتي بالتاء ز قال تعالى : (هي عصاي اتوكل عليها وأهش بها على غنمي)

قال الاستاذ عبد الغفور زين الدين قاسمي في رسالته " ابو الاسود الدؤلي ودوره في وضع النحو " فقال ما ملخصه : ولعل اول من فكر فيه الخليفة الراشيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث علم ان اللحن يتسرب الى تلاوة القران الكريم فاستدعى ابا الاسود الدؤلي وأمره ان يفكر في رسم القواعد النحوية , ثم لم يزل ابو الاسود الدؤلي يفكر في هذا الموضوع وتنبه واستمع الى الاخطاء والالحان التي تقع في الكلام العربي ثم شاور مع سيدنا علي بن ابي طالب في هذا الامر ووضع له بعض القواعد . هذا وهناك روايات اخرى عديدة مضطربة مختلفة في وضع النحو ولكن على ما اسلفناه يكون واضع النحو ابو الاسود الدؤلي بل بعد توجيه واشارة من علي بن ابي طالب وبعد ان اوضح له الطريق ورسم له القواعد النموذجية , وكان مقر ابي الاسود في البصرة وحين تواجده في البصرة كان يسمع الالحان كثيرا فكلما يسمع لحنا جديدا كان يرسم قاعدة جديدة لتصويبه وكانت البصرة انذاك في امس الحاجة الى قانون يعصم لحن الكلام اذ ظهر فيها ظاهرة اللحن كثيرا .ولم يرسم ابو الاسود جميع القواعد النحوية بل ترك كثيرا منها لتلاميذه ولمن جاء بعده

من أئمة النحو فأتموها وكملواها وأضافو اليها وفرعوها وعللوها واستدلوا لها وبينوا وفصلوا ووضحوا طريقها وأثبتوا اصولها وقواعدها . انتهى

فيفهم من هذا : أن المصطلحات النحوية لم توضع دفعة واحدة ولم تنضج هذا النضج المبكر لان ذلك يخالف طبائع الاشاء ونموها وتدرجها , والحق أن هذه المصطلحات النحوية قد مرتّ بمراحل لا يمكن تجاهلها فقد بدأت ساذجة في بداية الامر الى أن استوت واقفة على قدميها .

ومما يؤيد اشتغال ابي الاسود الدؤلي بالنحو ووضعه اشيأ من حدوده مع أنه لا ينفي ان يكون قد تلقى ذلك او بعضه عن علي بن ابي طالب : ما روى ابن النديم محمد بن اسحاق في " الفهرست " خبرا طريفا عن رجل اسمه محمد بن الحسين كان جماعة للكتب , وقد ألت اليه خزانة صديق له كان مشتهرا بجمع الخطوط القديمة و خطوط العلماء الاولين ونوادر الكتب والرقاع , فهي متحف كل ما فيه نادر وثمين , قال ابن النديم : فرأيتها وقلبتها فرأيت عجبا الا أن الزمان قد أخلقها وعمل عملا أدرسها , ورأيت ما يدل على أن النحو عن ابي الاسود الدؤلي ما هذه حكايته : وهي اربع أوراق وأحسبها من ورق الصين , ترجمتها : هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول من ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق " هذا خط علان النحوي " , وتحته " هذا خط النضر بن شميل ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه , فما سمعنا خبرا ولا رأيت منه غير المصحف , هذا على كثرة بحثي عنه .

ولعل شهادة ابن نديم هذه أكثرها دلالة لما عرف عنه بالبحث والتنقيب عن أمور القديمة وهو ثقة بشهادة اهل الحديث , وقد أخذ عنه الامامان أحمد ويحيى بن معين .

قال الشيخ جمال الدين القطفي في " انباه الرواة على انباه النحاة " : اهل مصر قاطبة يرون بعد النقل والتصحيح ان اول من وضع النحو علي بن ابي طالب كرم الله وجهه , وأخذ عنه ابو الاسود الدؤلي , واخذ عن ابي الاسود الدؤلي نصر بن عاصم البصري , وأخذ عن نصر ابو عمر بن العلاء البصري , وأخذ عن

أبي عمر الخليل بن احمد وأخذ عن الخليل سيبويه ابو بشر عمر بن عثمان بن قنبر , وأخذ عن سيبويه ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط , وأخذ عن الاخفش ابو عثمان بكر بن محمد المازني الشيباني وابو عمر الجرمي , وأخذ عن المازني والجرمي ابو العباس احمد بن يزيد المبرد واخذ عن المبرد ابو اسحاق الزجاج وابو بكر بن السراج , وأخذ عن ابن السراج ابو علي الحسن ابن عبدالغفار الفارسي وأخذ عن الفارسي ابو الحسن علي بن عيسى الربعي واخذ عن الربعي ابو نصر القاسم بن مباشر الواسطي وأخذ عن ابن المباشر طاهر بن احمد بن بابشاذ المصري , واخذ ايضا عن الزجاج ابو جعفر النحاس احمد بن اسماعيل المصري , واخذ عن النحاس ابو بكر الادفوي , وأخذ عن الادفوي ابو الحسن علي بن ابراهيم الحوفي وأخذ عن الخوفي طاهر بن احمد بابشاذ النحوي واخذ عن ابن بابشاذ ابو عبد الله محمد بن بركات النحوي المصري وأخذ عن ابن بركات وغيره ابو محمد بن البري وأخذ عن ابن البري جماعة من علماء مصر وجماعة من القادمين من المغرب وغيرها , وتصدر في موضعه بجامع عمر بن العاص تلميذه الشيخ ابو الحسن النحوي المصري المنبوز بخرء الفيل ومات في حدود سنة عشرين وستمائة . انتهى

ونسبة الوضع لابي الاسود رحمه الله انما تعدّ نتيجة لقيامه ببعض الابواب الاساسية في ذلك الفن , و نسبة الوضع لسيدنا علي رضي الله عنه اعتمادا على تفهيمه ابا الاسود اقسام الكلمة واقسام الاسم والباقي من النواسخ .

وذهب بعض الدراسين منهم - شوقي ضيف - في كتابه " المدارس النحوية " - الى ان هذا من عبث الرواة الذين ظنوا أنه وضع النحو وهذا انما رسم اعراب القرأن الكريم عن طريق نقط اواخر الكلمات فيه وحمل هذا الصنيع عن ابي الاسود تلاميذه من قراء الذكر الحكيم , وفي مقدمتهم نصر بن عاصم وعبد الرحمن بن هرمز ويحي بن يعمر وعنبسة الفيل وميمون بن الاقرن , فكل هؤلاء نقطوا المصحف وأخذ عنهم النقط وحفظ وضبط وقيد وعمل به واتبع فيه سنتهم واقتدي فيه بمذاهبهم

وعلى هذا الرغم من هذا التردد بين الرواة والمؤرخين في الحسم في وضع هذا العلم , فان المتفق عليه بينهم ان مرحلة الوضع والتكوين كانت للمدرسة البصرية , ولم تظهر المدرسة الكوفية الا في طور النشوء والنمّو , لينضج العلم ويستوي على سوقه في ظل النقاشات بين المدرستين " البصرية والكوفية " ليعرف العلم تطورا مهما في طور الترجيح والبسط في التصنيف بظهور مجموعة من المدارس كالبغدادية والأندلسية والمصرية ويصعب الفصل بين هذه الاطوار تاريخيا لأنها متداخلة ولا يتأتى الا بتحديد طبقات الرواد مرتبة :

فمن رواد المدرسة البصرية نجد ابن ابي اسحاق , وعيسى بن عمر الثقفي , وابا عمر بن العلاء , ويونس بن حبيب , والخليل بن أحمد , وسيبويه , والاخفش , وتلاميذه والمبرد وأصحابه .

واما رواد مدرسة الكوفية فمنهم : الكسائي وتلاميذه , وهشام بن معاوية الضرير , والفراء , وثعلب , وأصحابه .

واما رواد المدرسة البغدادية فمنهم ابن كيسان والزجاجي وأبي علي الفارسي , وابن جني .

واما في الاندلس فقد برز ابو مضاء القرطبي وابن عصفور وابن مالك .

واما المدرسة المصرية فمن روادها ابن الحاجب وابن هشام .

ولعل الداعي الى ظهور هذه المدارس هو تعدد الاجتهادات والادلة في القضايا النحوية وما سمي بالتعليلة النحوية .

(براعة الاستهلال في المقدمة)

وذكر الناظم رحمه الله للفظ (نحت) و (نحوه) و (ضمير الشأن) و (افصح الخلائق) و (الاعراب) هو من براعة الاستهلال وهي ان يأتي المتكلم في طالعة كلامه بما يشعر بمقصوده

(وبعد فاعلم انه لما اقتصر جل الورى على الكلام المختصر)

قوله (وبعد) هذه كلمة يأتي المتكلم بها اذا اراد الانتقال من المقدمة الى المقصود بالكلام , ويستحب الاتيان بها في الخطب والمكاتبات اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان يقولها في خطبه وشبهه , وقد بوّب الامام البخاري في صحيحه بقوله : (باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد) , ونقل الامام ابن حجر العسقلاني عن الزين بن المنير في " فتح الباري " حيث قال : قال الزين المنير : يحتمل ان تكون من موصولة بمعنى الذي والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم كما في أخبار الباب , ويحتمل ان تكون من شرطية والجواب محذوف والتقدير فقد أصاب السنة , وعلى التقديرين فينبغي للخطباء ان يستعملوها تأسيا واتباعا . انتهى

والواو فيها نائبة عن " أما " وأما نائبة عن " مهما " , واصل الكلام مهما يك بعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله ....

اي أما بعد ما ذكر من البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله فاعلم ان معظم الناس لما ضعفت هممهم عن طلب العلم من المطولات واحتاجوا الى الكلام المختصر كان لا بدّ من الاختصار ما يناسب احوالهم

هذا مسلك العلماء الربانيين هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره (1) اي يتدرجون في تعليمهم ففصنّفوا للطلاب المبتدئين متون العلم الصغيرة منثورة كانت او منظومة ويعلّمونهم ويشرحون لهم بالطريقة المناسبة لعقولهم وأفهامهم ثم اذا أتقنوهم وضبطوا وحفظوا علّموهم ما هو أكبر منها ثم الى ما هو أكبر وهكذا الى ان يكبروا .

---

(1) قال ابن عباس رضي الله عنهما : كونوا ربانيين حلماء فقهاء علماء , ويقال : الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره . رواه الامام البخاري في صحيحه .

وأشار الى هذا المسلك الرباني النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل لمّا علّم الصحابة أصول هذا الدين قبل دقيفه ,

فعلى طالب العلم ان يجد ويجتهد ويحرص على التعلم بصغار العلم قبل كباره لان هذه الطبقات والتدرجات التي جعلها العلماء الربانيون مثل السلم الذي تصعد بواسطته درجة درجة الى السطح العالي

(وكان مطلوبا أشد الطلب من الورى حفظ اللسان العربي)

(كي يفهموا معاني القران والسنة الدقيقة المعاني)

(والنحو اولى اولا أن يعلم اذ الكلام دونه لن يفهم)

(قوله وكان) معطوف على مدخول لمّا

اي لما كان علم النحو الذي يحفظ به اللغة العربية من جملة ما طلبه الناس اشد الطلب حتى أنفقوا اموالا كثيرة - (كما انفق المقرئ المحدث خلف بن هشام على تعلم باب في النحو ثمانين ألف درهم) - و سافروا وجالوا اقطار الارض تحصيلا ودراسة له من اهله ايّما كانوا وحلّوا لاجل الغاية النبيلة العظيمة وهي الاستعانة على فهم معاني القران الكريم والسنة النبوية الشريفة ولا سيما الخفية المعاني اذ لغة القرأن والسنة هي اللغة العربية , ودون الاحاطة بعلومها لا يمكن فهمها فهما صحيحا , ومن أهم علومها علم النحو, واذا اراد المسلم ان يفهم علوم الشريعة التي مأخذها القران والسنة حق الفهم فينبغي اولا ان يفهم النحو , فهذا يدل على اهمية النحو , اذ الكلام دونه لا يفهم حق الفهم

قال الامام ابو اسحاق الشاطبي في " الموافقات " ما ملخصه : ان هذه الشريعة المباركة عربية , فمن أراد تفهمها فمن جهة لسان العرب تفهم ولا سبيل الى تطلب فهمها من غير هذه الجهة .

قد ادرك علماء الشريعة قديما وحديثا اهمية اللغة بالنسبة الى فهم القران والسنة فهذا الامام ابو بكر بن علي الخطيب البغدادي قال في كتابه " الفقيه والمتفقه " : اخبرنا القاضي ابو الحسين احمد بن علي بن ايوب العكبري اجازة , اخبرنا علي بن احمد بن أبي غسان البصري , حدثنا زكريا بن يحيى الساجي وأخبرنا محمد بن عبد الملك القرشي قراءة , اخبرنا عياش بن الحسن البندر, حدثنا محمد بن الحسين الزعفراني , قال : اخبرني زكريا الساجي قال : حدثني ابن بنت الشافعي قال سمعت أبي يقول : اقام الشافعي علم العربية وأيام الناس عشرين سنة فقلنا له في هذا , فقال : ما أردت بهذا (علم العربية) الا الاستعانة للفقه . انتهى

اي أنه ظل عشرين سنة يتبحر في اللغة العربية وعلومها ليفقه ويفهم القران والسنة ولا يستغرب هذا منه , فقد قال ابن ابي حاتم في كتابه " اداب الشافعي ومناقبه " : اخبرنا ابو الحسن , أخبرنا ابو محمد , حدثنا أبي , حدثنا حرملة بن يحيى قال : سمعت الشافعي يقول : اصحاب العربية جنّ الانس يبصرون ما لا يبصر غيرهم . انتهى

قال ابن خلدون في " تاريخه " : اركانه (اي اللسان العربي) أربعة وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على اهل الشريعة , اذ مأخذ الاحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة وهي بلغة العرب ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب , وشرح مشكلتها من لغاتهم فلا بدّ من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة , وتتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام حسبما يتبيّن في الكلام عليها فنا فنا , والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو اذ به تتبين اصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل عن المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل اصل الفائدة .

جاء في " كتاب مسائل ابي الوليد بن رشد " ما نصه : وسئل (ابن رشد الجد) رضي الله عنه عمن قال : لا يحتاج الى لسان العرب هل يلزمه شيء ام لا ؟ , فقال وفقه الله هذا جاهل جدا فلينصرف عن ذلك وليتب

منه فانه لا يصح شيء من أمور الديانة والاسلام الا بلسان العرب يقول تعالى (بلسان عربي مبين) , فقال له السائل : ان قائل هذا القول ليس بجاهل ولكن ممن يقرأ الحديث والمسائل , فقال ايده الله وان كان فان هذا منه جهل عظيم فقل له : تب منه وأقلع منه , ولا يلزمه شيء الا ان يرى أن ذلك منه لخبث منه في دينه او نحو ذلك , فيؤدبه الامام على قوله ذلك بحسب ما يرى فقد قال قولا عظيما .

وجاء في كتاب " روضة الاعلام بمنزلة العربية من علوم الاسلام " للامام ابن الازرق الغرنطي المالكي ما نصه :

لما كانت (علوم الشريعة العربية) لا تفهم الا به (علم النحو) ولا تحصل في اول الامر الا من طريقه كان منفعته أوضح من شمس الظهيرة , وعند ذلك فلا توازيها في العلوم المرادة لغيرها منفعة ولا تعود فائدة بمثل جدواها ولأجله قال مالك بن أنس رضي الله عنه : لو صرت من الفهم في غاية ومن العلم في نهاية فان ذلك يرجع الى أصلين كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل اليهما ولا الى الرسوخ فيهما الا بمعرفة اللسان العربي , فيه انزل الله كتابه ونهج لعباده أحكامه فهو أصل الدين وفرع الشريعة فمن الحق الواجب المهم اللازم للمؤمن أن يقدّم في تعلّمه اللسان العربي فلو أن الرجل يكون عالما بسائر العلوم جاهلا به لكان كالساري وليس له ضياء . قلت (معلقا على كلام الامام مالك) : وكيف له بالضياء في ظلمة مسيره وهو اذا كان جاهلا بالنحو اولا وبما يتوقف عليه كمال الفهم من سائر العلوم ثانيا , لا مطمع له في فهم الكتاب والسنة على حد ما يفهمه صاحب للسان العربي بالملكة اوالصناعة فاذا لا تغنيه علومه ولا تنهض به الى قرع هذا الباب الذي هو المسلك الاول الى الفهم عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم . انتهى

قال الامام ابن العماد في كتابه " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " : وعنه (عن الكسائي) قال : من تبحّر في النحو اهتدى الى جميع العلوم . انتهى اي من تعمّق وتوسّع في علم النحو فله السهولة لفهم جميع العلوم .

قال العلامة السيد بكري بن السيد محمد شطا الدمياطي في " اعانة الطالبين " : سأل عنها (مسألة) ابو يوسف صاحب ابو حنيفة الكسائي امام اهل الكوفة حين ادعى أن من تبحر في علم (النحو) اهتدى به الى سائر العلوم فقال له ابو يوسف : انت امام في النحو والادب , فهل تهتدي الى الفقه , فقال : سل ما شئت فقال : لو سجد سجود السهو ثلاثا هل يسجد ثانيا ؟ قال : لا لان المصغّر لا يصغّر , وتوجيهه أن المصغر زيد فيه حرف التصغير كدريهم في درهم , ونصوا على أن المصغّر لا يصغّر ثانيا , ومعلوم أن سجود السهو سجدتان , فاذا زيد فيه سجدة فقد أشبه المصغر في الزيادة, فيمتنع السجود ثانيا كما يمتنع التصغير ثانيا .

قال الشيخ ابو حيان التوحيدي في " كتاب البصائر والذخائر " : كان الرشيد يجمع العلماء ويسمع كلامه فحضروا ذات يوم وفيهم ابو يوسف صاحب ابي حنيفة , والكسائي يذكر النحو فقال : احذق الناس به يكون معلما , فقال له الكسائي : أسئلك عن مسئلة في الفقه , قال سل , قال : ما تقول في غلام لك قتل فاتهمت به رجلين فسئلتهما عن أمره فقال أحدهما : انا قاتل غلامك , وقال الاخر : أنا قاتل غلامك , ايهما القاتل ؟ , قال ابو يوسف : جميعا , قال الكسائي : أخطأت , قال : فأيهما القاتل عندك , قال : والذي قال انا قاتل غلامك (بالاضافة) , لان قوله أنا قاتل غلامك يريد أنا قتلته , والذي قال أنا قاتل (بالتنوين) غير قاتل , اراد سأقتل غلامك فهو تهدد , قال الله : (فالق الاصباح وجعل الليل سنكا) المعنى : فلق الاصباح فندم ابو يوسف على كلامه . انتهى

قال الامام ابو بكر الزبيدي في " طبقات النحويين واللغويين " : قال عبد الله بن أبي سعد حدّثني ابو بكر محمد بن عبد الله بن عبيد بن أدم بن جشم العبدي , قال : حدثني الاحمر قال دخل ابو يوسف على الرشيد والكسائي عنده يمازحه فقال له ابو يوسف : هذا الكوفي قد استفرغك وغلب عليك , فقال : يا ابا يوسف انه ليأتيني بأشياء يشتمل عليها قلبي , فأقبل الكسائي على ابي يوسف قال : يا أبا يوسف هل لك في مسئلة ؟ , قال نحو ام فقه ؟ قال : بل فقه , فضحك الرشيد حتى فحص برجله , ثم قال : تلقي على ابي يوسف فقها ؟ قال : نعم , قال : يا ابا يوسف ما تقول في رجل قال لامرأته : أنت طالق أن دخلت الدار , قال : ان دخلت الدار طلقت , قال : أخطأت يا ابا يوسف , فضحك الرشيد ثم قال : كيف الصواب ؟ , قال اذا قال " أن " فقد وجب الفعل واذا قال : " ان " فلم يجب ولم يقع الطلاق , فكان ابو يوسف بعدها لا يدع أن يأتي الكسائي . انتهى

قل الامام عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي في كتابه " مجالس العلماء " : حدّثني الحسن بن عليل العنزي قال : حدّثنا محمد بن عبد الله بن أدم العبدي قال حدّثنا الاحمر النحوي قال : دخل ابو يوسف الفقيه على الرشيد وعنده الكسائي يحدّثه فقال : يا أمير المؤمنين قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك , فقال الرشيد النحو يستفرغني استدلّ به على القرأن والشعر , فقال الكسائي : ان رأى امير المؤمنين أن يأمر بجوابي في مسئلة من الفقه فضحك الرشيد فقال : أ بلغت الى هذا يا كسائي , يا أيا سوسف أجبه , فقال : ما تقول في رجل قال لامرأته : انت طالق ان دخلت الدار , فقال ابو يوسف : ان دخلت فقد طلقت , فقال الكسائي : خطأ اذا فتحت فقد وجب الامر واذا كيرت فأنه لم يقع بعد , فنظر ابو يوسف بعد ذلك في النحو

قال الشيخ الدكتور مصطفى الفكي في كتابه " اثر النحو في استنباط المسائل الاصولية والفقهية " :
وتوضيح ذلك أنه اذا قال : انت طالق أن دخلت الدار طلقت في الحال لان المعنى أنت طالق بسبب دخولك الدار , فصار دخول الدار سببا لطلاقها , اما اذا قال : انت طالق ان دخلت الدار , فالطلاق هنا مرتب على

دخول الدار , لان الجملة شرطية , وجزاء الشرط معلق على فعله , فمتى تحقق الشرط , نحقق الجزاؤ وهو الطلاق . انتهى

قال الشيخ العلامة السيد حجازي الفشني في " القلادة الجوهرية في شرح الدرّة البهية " عند قول الناظم (والنحو أولى اولا ان يعلما الخ ..) : اشار به الى الاعتناء بعلم النحو اذ كل علم يفتقر اليه من فقه وحديث وتفسير . انتهى

قال الشيخ العلامة ابرهيم البيجوري في " فتح رب البرية شرح الدرة البهية " : اتفق العلماء على أن علم النحو وسيلة لسائر العلوم لا سيما علم التفسير والحديث فانه لا يجوز لاحد ان يتكلم في كلام الله ورسوله حتى يكون مليا بالعربية . فقد قال الاصمعي : ان أخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن فيما روي عنه فاذا لحن فيه فاذا لحن فيه فقد كذب عليه .

وعلّق عليه (اي قول الاصمعي) الصنعاني في كتابه " توضيح الافكار لمعاني تنقيح الأنظار " : قلت انما قال الاصمعي " أخاف " ولم يجزم لان من لم يعلم بالعربية وان لحن لم يكن متعمدا للكذب

(وكان خير كتبه الصغيرة   كراسة لطيفة شهيرة)

(في عربها وعجمها والرومي   الّفها الحبر ابن أجروم)

(وانفعت اجلة بعلمها   مع تراه من لطيف حجمها)

لمّا دوّن علم النحو في الكتب كانت منها المطوّلات والمتوسطات والمختصرات , فكان لائقا بالمبتدئ ان يشتغل بالمختصر , وكان أقضل كتب النحو المختصرة كراسة صغيرة مشهورة في العرب والعجم والروم باسم " متن الاجرومية "

وذلك لخصائصها :

- الاختصار الشديد في جميع ابوابها دون ذكر خلافات النحويين
- جامعة لأهم مسائل النحو التي هي القواعد الاساسية للتفنن فيه
- التركيز على علم النحو دون علم الصرف
- اختيار كلمات سهلة ومصطلحات متداولة متجنبا كل لفظ مستغلق يحتاج الى استحضار المعاجم
- حذف الكثير من الابواب التي يصعب فهمها على المبيتدئ كباب التنازع والاشتغال والندبة والاستغاثة والتقديم والتأخير والحذف وغيرها من الابواب المعقدة

فهي اللبنة الاولى في هذا الفن العظيم حتى لا يكاد عالم من العلماء الاجلاء لا يينتفعون بعلمها تعلّما وتعليما , ويظهر ذلك من اهتمامهم بهذا المتن في القديم والحديث فتناولوها بالشرح والتحشية والتتميم والنظم والاعراب والتعليق والتحقيق والترجمة والمخطّط , واذا اردت ان تعرف ذلك فطالع " كتاب الدليل الى شروح الاجرومية " للشيخ محمد تبركان , وذلك لانّ مؤلف هذا المتن هو الحبر - بكسر الحاء - اي العالم كالحبر في كثرة النفع ابن أجرومي , فينبغي ان نذكر شيئا من ترجمته , وهي كما يلي :

(ترجمة الامام ابن أجروم الصنهاجي)

اسمه ونسبه : ابو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن أجروم

هكذا ذكرت أكثر المصادر اسمه بمحمدين , منها : " بغية الوعاة " للامام السسيوطي , و " جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ بمدينة فاس " و " درة الحجال في أسماء الرجال " كلاهما للامام ابن القاضي المكناسي و " سلوة الانفاس " للشيخ محمد بن جعفر الكتاني , و" الاعلام " للامام الزركالي , و " شذارات الذهب " للامام ابن العماد ,و الضوء اللامع للامام السخاوي , و " نفح الطيب " للامام المقري التلمساني و " هدية العارفين " للشيخ اسمعيل بشا البغدادي , و " معجم الؤلفين " للشيخ عمر رضى كحالة , و " كشف الظنون " للشيخ حاجي خليفة , و " النبوغ المغربي للشيخ عبد الله كنون , و " شجرة نور الزكية في طبقات المالكية " للشيخ مخلوف , و " العقد الجوهري " للامام ابن الحاج الفاسي , و حاشية الشيخ اسمعيل الحامدي على شرح الكفراوي , و " القلادة الجوهرية في شرح نظم متن الاجرومية " للاستاذ سيدي احمد حجازي الفشني , و" دليل المؤرخ المغرب " للشيخ عبد السلام بن عبد القادر سودة المري و " اعلام المغرب " للامام ابن الاحمر , والدرر السنية للشيخ ابي بكر ماهر بن عبد الزهاب علوش والامام ابن عنقاء في " غرر الدرر الواسيطية " والدرة النحوية للشيخ العلامة محمد بن أحمد بن يعلى لبحسني

قال الشيخ العلامة محمد بن مبارك الكدوسي في " كنز العربية في حل ألفاظ الاجرومية " : اعلم أن الؤلف رحمه الله هو ابو عبد الله ابن الشيخ العالم القدوة الحسابي الفرضي ابي عبد الله محمد ابن الشيخ الفقيه الورع المتفنن في علوم شتى ابي سليمان داود الصنهاجي عرف بابن أجروم .

وجاء عند بعض شراح مقدمته كالمكودي والشربيني وأبي الحجا : محمد ابو عبد الله بن داود

واما الحفناوي فقد ذكر في حاشيته على شرح الكفراوي المسماة " منحة الكريم الوهاب " : ان اسمه ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد بأربعة محمدين .

(الصنهاجي) ومن المترجمين من قال: ان كلمة " الصنهاجي " نسبة الى قرية , ومنهم من قال انها نسبة الى قبيلة

فأما من قال من المترجمين : ان كلمة " الصنهاجي " نسبة الى قرية هو الشيخ العلامة الكتاني في سلوة الانفاس فقال رحمه الله : ابو عبد الله سيدي محمد بن محمد داود الصانهاجي من صنهاجة : عمل مدينة صفرو - اي قرية تكون تحت حكم مدينة صفرو او تابعة لها .

واما نسبة كلمة " الصنهاجي " الى قبيلة فاختلف المؤرخون فيها , فمنهم من قال ان الصنهاجة نسبة الى قبيلة من حمير من عرب اليمن ثم خرجوا من اليمن وارتحلوا واستوطنوا بالمغرب فتغير لسانهم لبعدهم عن وطنهم وعيشهم بين قبائل البربر ومنهم من قال ان الصنهاجة نسبة الى قبيلة من البربر

قال الامام ابن الاثير في " اللباب في تهذيب الانساب " : الصنهاجي بضم الصاد المهملة وكسرها وسكون النون وفتح الهاء وبعد الالف جيم , هذه نسبة الى صنهاجة وهي قبيلة مشهورة من حمير وهي بالمغرب ينسب اليها خلق كثير من الامراء والعلماء بالمغرب نسبة الى قبيلة صنهاجة بالمغرب . انتهى , قال الامام القلقشندي في " صبح الاعشى في صناعة الانشا " : صنهاجة بفتح الصاد وسكون النون وفتح الهاء والف بعدها , جيم مفتوحة وهاء في الاخر هم بنوا صنهاجة بن برنس بن بربر وقيل : صنهاج بن اوريغ بن برنس بن بربر ويقال : انهم من حمير من عرب اليمن قاله ابن الكلبي والطبري والبيهقي والمسعودي وعبد العزيز الجرجاني , وذكر الامام لسان الدين ابن الخطيب في " تاريخ المغربي العربي " انّ صنهاجية تنتسب الى صنهاج من ولد عبد الشمس بن وائل بن حمير . انتهى

(أجروم) حكى السيوطي في " بغية الوعاة " بقوله : رأيت بخط ابن مكتوم - المعاصر لابن أجروم - في " تذكرته " قال : (محمد بن محمد الصنهاجي ابو عبد الله من أهل فاس يعرف بأكروم)

قال الاستاذ الدكتور في قسم النحو والصرف بكلية اللغة العربية بجامعة الامام سليمان بن عبد العزيز في فتاويه اللغوية : اجروم : في البربرية : أكرام او أكروم بالقاف الضعيفة (القاف النجدية , والجيم القاهرية) , وقد عربته العرب الى أجروم بالجيم كما عربت وغيرت كلمات اعجمية كثيرة وهي تعرف لفظها .

والقاعدة في طريق الكتابة لهذا الحرف بالعربية تقول : كل ما يكمكم يغمغم او يجمجم او يقمقم . ومثاله : أكادير (اسم مدينة) تكتب اكادير او اغادير او اجادير او اقادير . وتكتب بوكور(اسم مدينة) بوغور او بوجور او بوقور

لها (كلمة أجروم) ضبط ومعنى

وأما الضبط : فعلى اوجه :

الاول : الهمزة مفتوحة ممدودة , والجيم مضمومة , والراء مضمومة مشددة والواو مسكنة , هكذا قال الامام ابن عنقاء في " غرر الدرر الواسطية " وبه قطع السيوطي في " بغية الوعاة "

الثاني : الهمزة مفتوحة ممدودة , والجيم مفتوحة , والراء مضمومة مشددة والواو مسكنة , قال الشيخ محمد الاهدل في " الكواكب الدرية " : كذا نقل بعضهم ضبطه عن خط الجمال المطيب

الثالث : الهمزة مفتوحة , والجيم مسكنة , والراء مضمومة مخففة على ما جرى على ألسنة الناس , كذا قال الشيخ العلامة محمد الاهدل في " الكواكب الدرية "

الرابع : ما حكاه الامام ابن عنقاء في " غرر الدرر الواسطية " : وقد كثر حذف همزته فلا أدري أهي لغة ام من تلعب الناس

و قال الشيخ العلامة محمد الاهدل في " الكواكب الدرية " : والكل واسع لان الاسم الاعجمي قد يتعسر النطق به فيتوسع فيه ما لا يتوسع في الاسم العربي

واما المعنى فهو الفقير الصوفي وذالك بلغة البربر

جزم الامام السيوطي في " بغية الوعاة " , و الامام ابن الحاج في " العقد الجوهري في حل الفاظ شرح الازهري على مقدمة اجروم " وغيرهما ممن ترجمه من المؤرخين وشراح مقدمته بهذا المعنى , وزاد الرشيدي فقال : في " الاقوال المرضية على متن الاجرومية " : ومعناه بلسان البربرية الفقير او الشيخ او الفقيه الصوفي .

والفقير في عرف تلك الجهات بل عند المشارقة ايضا الفقير يطلق على المتعبد الذي هو عندهم العابد الصوفي الزاهد

في ترجمة الامام احمد امام في السنة , امام في الاحكام , امام في الزهد , امام في الفقر يعني في العبادة والتأله فهو امام في هذه الابواب كلها .

وقال الامام ابن عنقاء شيخ الشافعية اليمني في " غرر الدرر الواسطية شرح نظم العمريطي " (اجروم) ممنوع الصرف للعلمية والعجم وانما صرفه للضرورة هي كلمة اعجمية بلغة البربر معناها الفقير الصوفي على ما قيل , لكني لم أجد البرابرة يعرفون ذلك , وانما في بلاد البربر قبيلة تسمى بني أجروم . انتهى

قال الشيخ العلامة عبد الله كنون المغربي في " ذكريات المشاهر " : وهي (اي أجروم) كلمة بربرية معناها الفقير الصوفي كما ذكره جميع من ترجمه من المؤرخين او كتب على مقدمته من الشارحين , ولا يزال الشلوح يستعملونها بهذا المعنى او ما يقرب منه لكن بلفظ اكرام , وعلى كل حال فهي لقب تشريف عندهم وتقوم مقام السيد بالعربية , ويقال : ان جده داود هو اول من عرف بها . انتهى

قال الراعي في " المسائل بالمفهومية في حل الفاظ الاجرمية " : فهو رحمه الله ابن الفقير الصوفي

- مولده : ولد بفاس , وأما سنة ولادته فقد اختلفوا على ثلاثة اقوال :

القول الاول : انه رحمه الله ولد سنة اثنتين وسبعين وستمائة وهو ما ذهب اليه جمهور المترجمين من المؤرخين واصحاب الشروح كالامام ابن العماد في " شذرات الذهب " , و الشيخ خير الدين الزركلي في " الاعلام " , و العلامة الجليل محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف في " شجرة النور الزكية " , و الشيخ عبد الله كنون في " النبوغ المغربي " وفي " ذكريات المشاهر " , والشيخ احمد بن القاضي في " جذوة الاقتباس " ودرة الحجال " , والشيخ عمر رضى كحالة في " معجم المؤلفين " , والحلاوي في " شرح مقدمة الاجرومية " , والشيخ محمد بن مبارك في " كنز العربية " , والشيخ احمد النجاري الحفناوي في " منحة الكريم وهاب " , والامام ابن عنقاء في " غرر الدرر الواسيطية " , والامام ابن الحاج الفاسي في " العقد الجوهري " , والعلامة الحلاوي في شرحه على الاجرومية وغيرهم

قال الشيخ عبد الله كنون في " ذكريات المشاهر " : وهي السنة التي توفي فيها ابن مالك الامام النحوي المشهور فقيل توفي نحوي وولد نحوي , ولعلّ هذا الاقتران انما لوحظ بسبب جريان العمل في البلاد العربية منذ قرون بدراسة النحو في مقدمة ابن أجروم اولا ثم في الفية ابن مالك ثانيا , لا سيما وكثير ممن كتب (شرحا او حاشية) على الاجرومية كتب ايضا على الالفية فكانوا يبحثون عن ترجمة المؤلفين فوقع الاهتداء الى ان سنة وفاة ابن مالك هي سنة ولادة ابن أجروم فقيل هذا القول : توفي نحوي وولد نحوي . انتهى

القول الثاني : انه رحمه الله ولدت سنة اربع وسبعين وستمائة هجرية وهو ما ذهب اليه الشيخ العلامة ابن قاسم في حاشيته على متن الاجرومية

الثول الثالث : انه رحمه الله ولدت سنة اثنتين وثمانين وستمائة هجرية وهو ما ذهب اليه الشيخ حاجي خليفة في كشف الظنون

قال الامام السيوطي في " بغية الوعاة " : ولم أقف له على ترجمة الا اني رايت في تاريخ غرناط في ترجمة محمد بن علي بن عمر الغساني النحوي أنه قرأ بفاس على هذا الرجل ووصفه أعني هذا الرجل (ابن أجروم) بالاستاذ , والغساني مولده كما تقدم سنة أثنين وثمانين وستمائة , فيؤخذ من هذا أن ابن أجروم كان في ذلك العصر

- **وفاته** : بفاس , واما سنة وفاته فقد اختلفوا فيها ايضا على ثلاثة اقوال :

القول الاول : انه رحمه الله توفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة هجرية وهو ما ذهب اليه جمهور المترجمين من المؤرخين واصحاب الشروح كالشيخ اسمعيل بشا في " هدية العارفين " و العلامة الجليل محمد مخلوف في " شجرة النور الزكية " والشيخ خير الدين الزركلي في " الاعلام " , والشيخ محمد الطنطوي في " نشأة النحو " , والشيخ احمد بن القاضي في " جذوة الاقتباس " و " درة الحجال " والشيخ عبد الله كنون في " النبوغ المغربي " و في " ذكريات المشاهر ", والشيخ عمر رضا كحالة في " معجم المؤلفين " , والشيخ حاجي خليفة في " كشف الظنون " , والشيخ احمد بن يحيى الونشرسي في " وفيات الونشرسي " و الامام الحلاوي في شرحه على متن الاجرومية , والشيخ الاستاذ احمد الحفناوي في " منحة الكريم الوهاب " , والشيخ محمد بن مبارك في " كنز العربية " , والامام ابن العنقاء في " غرر الدرر الواسيطية " والشيخ عبد الرحمن بن قاسم في حاشيته على الجرومية , والامام ابن الحاج الفاسي في " العقدالجوهري " وغيرهم

قال الامام ابن الحاج في " العقد الجوهري " : في السنة التي ولد فيها ابن عرفة

القول الثاني : انه رحمه الله توفّي سنة اربع وعشرين وسبعمائة هجرية وهو ما ذهب اليه الامام ابن العماد في شذرات الذهب

القول الثالث :ان وفاته رحمه الله تقرب من سنة عشر وثمانمائة , قال الامام السخاوي في " الضوء اللامع " : قال لي بعض فضلاء المغاربة أن وفاته تقرب من سنة عشر وثمانمائة وفيه نظر . انتهى

(قوله : فيه نظر) الغالب أنه يطلق على ما يتوقف في قبوله لاعتراض عليه ومن اهل العلم من يطلق هذه العبارة على القول الضعيف تأدبا مع قائله ولا سيما اذا كان من الائمة , وهذا يفهم من سياق كلام القائل , وأنه لما اطلق هذه العبارة تلطفا , وان توقف في المسألة ولم يبين الراجح فيها دل على عدم تسليمه للقول لاعتراض اقتضى ذلك .

فعلى قول جمهور المترجمين ما عدا الامام ابن عماد والشيخ العلامة ابن القاسم والشيخ حاجي خليفة فعمره رحمه الله احدى وخمسون سنة لأنهم قالوا : انه رحمه الله ولدت سنة اربع وسبعين وستمائة هجرية وتوفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة هجرية

وعلى قول الامام ابن العماد فعمره رحمه الله : اثنتان وخمسون سنة لانه قال في " شجرات الذهب " : ولد بفاس سنة اثنتين وسبعين وستمائة وتوفي بها في صفر سنة اربع وعشرين وسبعمائة

وعلى الشيخ العلامة ابن القاسم فعمره تسعة وأربعون سنة لانه قال في حاشيته على متن الاجرومية : ولد بفاس سنة اريع وسبعين وستمائة وتوفي بها سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

وعلى قول الشيخ حاجي خليفة فعمره رحمه الله احدى وأربون سنة لانه قال في " كشف الظنون " : كانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وستمائة وتوفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

وعلى قول بعض فضلاء المغاربة الذي قال : ان وفاته تقرب من سنة عشر وثمانمائة فعمره رحمه الله متوقف على تحديد سنة ولادته لانه لم يذكره كما حكى الامام السخاوي في " الضوء اللامع "

مكانته رحمه الله العلمية :

قال الامام السيوطي رحمه الله في " بغية الوعاة " : وصفه شرّاح مقدّمته كالمكودي والراعي وغيرهما , بالامامة في النحو والبركة والصلاح , ويشهد بصلاحه عموم نفع المبتدئين بمقدّمته .

قال الامام المكودي في شرحه على الاجرومية : وان من أحسن ما وضع فيه من المقدّمات المختصرة واللمع المشهورة مقدمة الشيخ الفقيه الاستاذ المحقق المقرئ المجوّد الحسابي الفرضي نجيب دهره وفريد عصره ابي عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن أجروم , ثم قال : قال الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الشهير بابن أجروم رحمة الله عليه : الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع .

قال الامام الراعي في " المستقل بالمفهومية في حلّ الفاظ الاجرومية " : حدّثني بعض شيوخي أن هذا الشيخ - ابن اجروم - كان عالما صالحا حكي أنه صنّف هذه الاجرومية بالحرم الشريف تجاه بيت لله الحرام وهي كتاب مبارك انتفع به كثير من الناس , قليل الفصول , صغير الجرم , كثير النفع , مبارك ان شاء الله .

قال الامام ابن الحاج في" العقد الجوهري " : كان رحمه الله اماما جليلا حافظا متقنا صالحا ويدلّك على صلاحه ان الله جعل الاقبال على كتابه فصار غالب الناس اول يقرأ بعد القرأن العظيم هذه المقدمة فيصل له النفع في أقرب مدة , وكيف لا وقد ألّف تجاه الكعبة الشريفة .

- حياته العلمية

قال الشيخ عبد الله كنون في ذكريات المشاهر : ولقد نشأ المترجّم (اي ابن أجروم) بفاس طبعا , وان كنا لا نعرف شيأ عن نشأته ولا عن دراسته حتى شيوخه الذين أخذ عنهم لم يذكرهم احد ما عدا ابا الحيان النحوي صاحب التفسير الكبير المعروف بالبحر المحيط فانهم ذكروا أن المترجم أخذ عنه بمصر في طريقه الى الحاج , على أنه كان مشاركا في العلوم , ففضلا عن القراءات والنحو الذين اشتهر بهما , كان له معلومات من فرائض وحسلب وأدب بارع كما يقول ابن مكتوم من معاصيريه فيما نقل عنه السيوطي في بغبة الوعاة : وهو مقيم بفاس بفاس يفيد اهلها معلوماته المذكورة . انتهى

قال الشيخ الحفناوي في حاشيته على الكفراوي : يقال لما الف هذا المتن كان في مجلس عال فأدهشته الريح وطيرته فقال : اللهم ان كان خالصا لوجهك فرده فرده عليه معقبا .

قال الشيخ الحامدي في حاشيته على الكفراوي : و حكي ايضا انه لما ألفه يعني ابن أجروم ومقدمته القاه في البحر وقال : ان كان هذا خالصا لله فلا يبل , فكان الامر كذلك .

- شيوخه

قال الشيخ الدكتور عبد الرحيم بن عبد السلام نبولسي في " تحقيقه ودراسته على فرائد المعاني " : لقد منّ الله علي ان احظى بالعثور على ثلاثة من شيوخه لذين تلقى عنهم في اثناء قراءتي لفرائد المعاني الى جانب ابي حيان , وسعدت بهاذا كثيرا وهم كالتالي :

1 - الامام محمد بن القصاب المكنى بأبي عبد الله

2 - محمد بن عبد الرحيم ابو القاسم الضرير

3 - عبد الملك بن موسى ابو مروان

4 - الامام محمد بن يوسف ابو حيان النحوي

- تلاميذه

1 - الشيخ ابو العباس احمد بن محمد بن شعيب الجزنائي

2 - الاستاذ الفقيه النحوي الصالح ابي محمد عبد الله بن عمر الوانغيلي الضرير

3 - القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد المهيمن الحضرمي

4 - الفقيه الاستاذ المقرئ الاعرف ابو العباس احمد بن محمد بن حزب الله الخزرجي

5 - ولده الاستاذ الاثير العالم الكبير ابو محمد عبد الله

6 - ولده الاستاذ المحقق الناظم الناثر ابو عبد الله محمد المدعوّ بمنديل

هكذا ذكر الشيخ محمد بن جعفر الكتاني في " سلوة الانفاس " , وذكر الامام السيوطي في " بغية الوعاة " انه رأى في تاريخ غرناطة أن محمد بن علي بن عمر الغساني قرأ عليه

(نظمتها نظما بديعا مقتدي بالاصل في تقريبه للمبتدي)

(وقد حذفت منه ما عنه غنى وزدته فوائدا بها الغنى)

(حتى نحت قلوبهم لنحوه فمن عظيم شأنه لم تحوه)

(متمما لغالب الابواب فجاء مثل الشرح للكتاب)

الشرح

اي نقلها الناظم رحمه الله من النثر الى النظم الشعري فنظمها نظما بديعا اي جديدا رائعا حال كونه مقتديا في هذا النظم بكتاب الاصل (متن الاجرومية) في تسهيله للمبتدي في طلب العلم , وقد حذف رحمه الله من كتاب الاصل ما استغني عنه , وزاد رحمه الله فوائد رأها محتمة الذكر لكونها من متعلقات الابواب لتكون متممة لمعظم الابواب , فجاء هذا النظم بهذه الطريقة (الحذف والزيادة) كأنه شرح لكتاب الاصل , وهذا تستقرأه بكل وضوح عند دراستك لهذا النظم . مثال ذلك :

مثال الحذف : حذف المركب والوضع في تعريف الكلام ببدل المسند لان المسند يلزم أن يكون مركبا وموضوعا بالوضع العربي وكذا حذف " جاء لمعنى " في تقسيم الكلمة بقوله : (لاسم وفعل ثم حرف تنقسم) لان المراد بالحرف هنا حرف المعنى لا الحروف الهجائية .

مثال الزيادة : زيادة تعريف الاسم الذي لا ينصرف وانواعه في باب علامات الخفض بقوله رحمه الله : مما بوصف الفعل صار يتصف بأن يحوز الاسم علتين او علة تغني عن اثنتين ..... الى أخره وكذا زيادة التوكيد اللفظي بقوله : وان تؤكد كلمة أعدتها بلفظها كقولك انتهى انتهى .

وبلغ ابياته الى مائتين وأربعة وخمسين بيتا تأتي على بحر الرجز جميعا وهو على وزن :

مستفعلن مستفعلن مستفعلن # مستفعلن مستفعلن مستفعلن

قال الشيخ الاستاذ السيد أحمد بن الشيخ حجازي الفشني في " القلادة الجوهرية " : واقتصر - الناظم - على المبتدي تواضعا والا فللمتوسط تبصرة وللمنتهي تذكرة ومن تواضع لله رفعه الله . انتهى

قلت : فهذا النظم نافع للمبتدي والمتوسط والمنتهي (اي المتقدم) نفعا عامّا , وكون المتعلمين لهذا النظم معظمهم ممن قد أتمّوا دراسة كتاب متن الاجرومية او نحوه من المختصرات وبعضهم راجع الى دراسة هذا النظم بعد أن اتمّوا دراسة نظم ألفية بن مالك او نحوه من المطوّلات دليل على عموم نفع هذا النظم .

(فائدة) لطالب العلم مراحل عديدة لا تاتي عليه مرحلة الا والتي بعدها اشق منها كما قيل : كلما كان الشيء اعلى كان الرياح اقوى , ولكن يكفي ذكر ثلاث مراحل فقط , وهي كما يلي :

الاولى : مرحلة المبتدئين وهي مرحلة التأسيس بدراسة الكتب المختصرة

والثانية : مرحلة المتوسطين وهي مرحلة البناء بدراسة الكتب الواسطة يتخذها وسيلة توصلهم الى مرحلة المتقدمين

والثالثة : مرحلة المتقدمين وهي مرحلة الارتقاء بدراسة الكتب المطولة يرتقون بها الى العلياء

ويتفاوت طلاب العلم في كل من المراحل بحسب قوة الفهم .

فعلى طالب المرحلة العلمية العالية ان يصبر في طلبه لان العلم طويل طريقه وطالبه كثير تعبه وقد قال الامام ابن الجوزي في صيد الخاطر : تأملت عجبا , وهو ان كل شيء نفيس يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله فان العلم لما كان اشرف الاشياء لم يحصل الا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات حتى قال بعض الفقهاء بقيت سنين اشتهي الهريسة لا أقدر لان وقت بيعها وقت سماع الدرس

(قد قال الناظم ان هذه المنظومة كاصلها في تسهيله للمبتدي فلماذا يستصعبها الطلاب ؟)

قال الشيخ امداد الله بن قارئ الببوشي في شرحه للاجرومية : علم النحو علم سهل وميسر ولله الحمد والمنة , ويستطيع اي احد تعلم هذه اللغة بكل يسر وذلك اذا اقبل عليها بكل جد واجتهاد , اما من يدخلون هذا العلم ويرون انه غير مهم في حياتهم العادية ولن يستعملوه لانه لا يستخدم فسيجدون انه صعب واما من دخل هذا العلم وهو محب له فيجد لذة وحلوة . انتهى

قلت : فينبغي لكل معلّم النحو ان يحاول ان يحبّب اليهم النحو ليقبلواعليه بحب ونشاط , قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان للقلوب نشاطا واقبالا وان لها تولية وادبارا فحدّثوا القوم ما اقبلوا عليكم , وذلك :

- بأن يعلّمهم مبادي النحو اولا اذ المجهول مرغوب عنه

- ثم يعلّمهم محتوى النحو بأسلوب منتظم جميل مناسب لاحوالهم مع التقوى واخلاص النية والاستقامة والاخلاق الكريمة لتحسن القدوة

قال الامام ابو الليث السمرقندي في " بستان العارفين " : فان كان المذكر يحتاج الى تطويل المجلس فيستحب له أن يجعل في خلال مجلسه كلاما يستظرفونه ويتبسمون بذلك فان ذلك يزيد نشاطا واقبالا . انتهى

(سئلت فيه من صديق صادق   يفهم قولي لاعتقاد واثق)

(اذ الفتى حسب اعتقده رفع   وكل من لم يعتقد لم ينتفع)

الشرح

اي سئلني في هذا النظم صديق صادق في صداقته وطلبه (وهو من تلاميذ الناظم) يفهم هذا النظم مني لحسن اعتقاده وقوته لان الفتى يرتفع وينتفع كلما قوي وحسن اعتقاده , اما من لم يكن من ذوي حسن الاعتقاد وقوته فلم يرتفع ولم ينتفع

اشار الناظم هنا الى ان نجاح التلميذ بالارتفعاع والانتفاع مشروط على حسن الاعتقاد وقوته لان هذا هو الشرط الاول والادب الاول فيشترط له :

1 - ان يعتقد اعتقادا حسنا قويا بان الله ييسّر له أمره ويفهّمه في تعلم علوم الدين ويقدر له نجاحا حيثما يستقيم على طريق التعلم , وسبيل الوصول الى حسن الاعتقاد وقوته اكثار النظر الى الدلائل الحقيقة .

2 - و ان يعتقد اعتقادا حسنا قويا بان الشيخ هو من يرشده الى ما هو صلاحه ونجاحه فيتبع ارشاده ويحفظ الادب معه ويحترمه و يتقرب الى الله بخدمته ولا يعترضه ولا يهينه

قال الشيخ العلامة عبد الله مختار السوكابومي في " المنحة الالهية " : مثاله : من جاور العالم ولم يعتقد منفعة هذا العالم بل قد يهينه لانه من الضعفاء بالنسبة لمعيشته مثلا فلا ينتفع به ولا يتعلم منه فلا يحصل له شيء من العلوم وان طال زمن المجاورة . انتهى

قال الامام السيد عبد الوهاب الشعراني في كتابه " ادب المريد الصادق " : اعلم رحمك الله ان احدا لم يبلغ الى حالة شريفة الا بملاقاة المشايخ ومعانقة الادب معهم وملازمة خدمتهم ومن صحب الاكابر لا على طريق الاحترام حرم فوائدهم وبركات نظرهم فلا يظهر عليهم من اثاره شيء . انتهى

قال الامام النووي في " المجموع شرح المهذب " : ينبغي ان ينظر معلّمه بعين الاحترام ويعتقد كمال اهليته ورجحانه على اكثر طبقته فهو اقرب الى انتفاعه به ورسوخ ما سمعه منه في ذهنه , وقد كان بعض المتقدمين اذا ذهب الى معلّمه تصدّق بشيء وقال اللهم استر عيب معلمي عني ولا تذهب بركة علمه مني . انتهى

قلت : لانه يخشى ان يكون معلمه سقطت مكانته من عينه ,فيكون سببا لذهاب بركة علمه منه , ولذلك دعا بهذا الدعاء

وقال الامام النووي في " بستان العارفين " : ان رجلا بقرية ببلاد بصرى في اوائل سنة خمس وست وستمائة كان شبابا سيء الاعتقاد في اهل الخير , وله ابن يعتقد فيهم , فجاء ابنه يوما من عند شيخ صالح ومعه مسواك , فقال : ما اعطاك شيخك ؟ مستهزئا , قال : هذا المسواك , فأخذه وادخله في دبره احتقارا له , فبقي مدة , ثم ولد ذلك الرجل الذي أدخل المسواك في دبره جروا قريب الشبه بالسمكة فقتله , ثم مات الرجل في الحال او بعد يومين , عفانا الله من بلاءه ووفّقنا الله لتنزيه السنن وتعظيم شعائره .

قدّم لنا الامام النووي رحمه الله هذه القصة الطريفة , لنكون على حسن الاعتقاد بأهل الخير ولنكون على أتم الحذر من ان يدخل لنا شيء من الاستخفاف او يتسرب لها قليل من الاستهزاء بهم فان تعظيمهم من تعظيم شعائر الله , والمتعرض لتنقصهم متعرض لخطر عظيم , لان لحومهم مسمومة

قد قال الامام ابو القاسم ابن عساكر في " تبيين كذب المفتري " : اعلم يا اخي وفقنا الله واياك لمرضاته ممن يخشاه ويتقيه حق تفاته ان لحوم العلماء مسمومة , وعادة الله في هتك استار منتقصيهم معلومة , لان الوقيعة فيهم بما هم منه براء امره عظيم , والتناول لاعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم , والاختلاق على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم , والاقتداء بما مدح الله به قول المتبعين من الاستغفار لمن سبقهم وصف كريم . انتهى .

(حكم انتقاد العلماء)

اذا علمت ما تقدم من كلام الامام ابن عساكر في كتابه " تبيين كذب المفتري " علمت بلا شك أن منزلة العلماء عظيمة فحكم انتقادهم اذا كان بقصد تجريحهم والتشهير بهم والنقص من قدرهم والنيل من اعراضهم وتتبع أخطاءهم وعثراتهم فان هذا لا يجوز لمسلم ان يفعله بأخيه المسلم من عامة المسلمين ويكون التحريم في حق العلماء اشد واعظم , اما اذا كان ذلك بقصد المصلحة فلا مانع منه بل ان ذلك مطلوب شرعا فاذا بان خطأ احد العلماء فعلى العالم ان يصلحه بحكمة واحترام مصحوب بالدليل الشرعي وأقوال العلماء فيه , ومن هذا القبيل كان السلف الصالح يرد بعضهم على بعض باحترام , وكذلك الائمة الكبار , وكان علماء الحديث يبينون خطأ هذا الراوي وصحة رواية الاخر .

اما اذا كانت المسئلة مختلفا فيها فعليه بالانصاف فان العلماء الاجلاء لم يزالوا يختلفون ويتناظرون ويرد بعضهم على بعض مع التزام الاخلاق الحميدة وصفاء النفوس من الاحقاد والضغائن , والله اعلم انتهى .

(حكاية نفيسة في حسن الاعتقاد)

ذكر الشيخ العلامة القليوبي في كتابه " النوادر " حكاية نفيسة في حسن الاعتقاد حيث قال : أن جماعة من اللصوص خرجوا من الليل الى قطع الطريق على قافلة فلما جنّ عليهم الليل جاءوا الى رباط بالمفازة - (والمراد بالرباط هنا البيوت التي تبنى في الطرقات للمسافرين والغرباء والفقراء) - فقرعوا الباب وقالوا لاهل الرباط : انا جماعة من الغزاة ونريد ان نبيت الليلة في رباطكم , ففتحوا لهم الباب , فدخلوا وقام صاحب الرباط يخدمهم وكان يتقرب الى الله تعالى بذلك ويتبرك بهم وكان به ابن مقعد لا يقدر على القيام فأخذ صاحب الرباط سؤرهم وفضل مياهم وقال لزوجته امسحي لولدنا بهذا اعضاءه فلعله يشفي ببركة هؤلاء الغزاة ففعلت ذلك فلما اصبحوا خرج اللصوص وتوجهوا الى ناحية وأخذوا اموالا وجاؤوا الى الرباط عند المساء فرأوا الولد يمشي مستويا فقالوا لصاحب الرباط هذا الولد الذي رأياه مقعدا بالامس , قال : نعم ,

اخذت سؤركم وفضل ماءكم ومسحته به فشفاه الله ببركتكم , فأخذوا يبكون , وقالوا له اعلم ايها الرجل اننا لسنا بغزاة وانما نحن لصوص خرجنا لقطع الطريق غير أن الله تعالى عافى ولدك بحسن نيتك وقد تبنا الى الله تعالى فتابوا جميعا وصاروا من جملة الغزاة والمجاهدين في سبيل الله حتى ماتوا . انتهى

3 - و ان يعتقد اعتقادا حسنا قويا بأن العلم الذي يدرسه كعلم النحو في هذا النظم هو ينفع له , وأنّ من منافع علم النحو الاعانة على فهم معاني كلام الله و حديث رسوله الموصل الى خيري الدنيا والاخرة قال الله تعالى : ومن يؤتى الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا . قال بعض المفسرين : الحكمة هي فهم كلام الله وحديث رسوله , فمن يؤتى فهم كلام الله وحديث رسوله فقد أوتي خيرا كثيرا لانه حاز خيري الدارين .

قال الامام ابو اليث السمرقندي في تفسيره المسمى " بحر العلوم " : قال بعض الحكماء من اعطي العلم والقران ينبغي ان يعرف نفسه ولا يتواضع لاصحاب الدنيا لاجل دنياهم لان ما اعطي افضل مما اعطوا لان الله تعالى سمّى الدنيا متاعا قليلا , وقال : (قل متاع الدنيا قليل) وسمّى العلم خيرا كثيرا . انتهى

(الفرق بين الصاحب و الصديق والخليل والحبيب)

قال شيخ الاسلام ابراهيم البيجوري في " فتح رب البرية " :

الصديق : من يفرح لفرحك ويحزن لحزنك , وضده العدوّ , والخليل : من يفرح لفرحك ويحزن لحزنك وتخللت محبته في اعضائك , والحبيب : من يفرح لفرحك ويحزن لحزنك وتخللت محبته في اعضائك وتفديه بمالك , واما الصاحب من طالت عشرتك به فهو اعم جميعها .

(فنسأل المنان ان يجيرنا   من الرياء مضاعفا اجورنا)

(وان يكون نافعا بعلمه   من اعتنى بحفظه وفهمه)

اختتم الناظم مقدمة منظومته بالدعاء في هاتين البيتين ويدعو الله باسمه " المنان " المناسب لمقام طلب العطاء , لان معنى   " المنان " - كما قال الامام ابو بكر الحليمي في " المنهاج في شعب الايمان " - : هو عظيم المواهب , فانه تعالى اعطى الحياة والعقل والنطق وصور فأحسن الصور , وانعم واجزل واسنى النعمة وأكثر العطايا والمنح قال : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) 1

- فدعا رحمه الله في اليت الاول : بأن يحفظنا من الوقوع في خطر الرياء < 2 > وان يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وان يضاعف لنا الاجر والثواب على هذا النظم وعلى غيره من سائر الاعمال

الاحتمالان يجريان في سبب اتيان الناظم بنون المتكلم في دعائه هذا , كما يلي :

الاحتمال الاول : أن الناظم رحمه الله قصد نفسه فقط مع تعظيمها اظهارا لتعظيم الله له حيث أهّله للعلم فيكون من باب التحدث بالنعمة قال تعالى : واما بنعمة ربك فحدّث , و لا ينافيه ان مقام الدعاء يقتضي الذلة والخضوع لان الشخص اذا نظر لنفسه احتقرها بالنسبة الى عظمة الله واذا نظر لتعظيم الله له عظّمه فيكون ايضا من باب التواضع والتذلل والافتقار الى معونته تعالى والاعتراف بكماله وجلاله وعظمته تعالى قال تعالى فلا تزكوا انفسكم

والاحتمال الثاني : انه رحمه الله أراد بهذا الدعاء نفسه واخوانه المسلمين وهو اولى لان الدعاء مع التعميم اقرب الى القبول فيكون من باب العطف والرحمة لان الدعاء بالخير للغير نوع من انواع العطف والرحمة

- ودعا رحمه الله في البيت الثاني : بأن ينفع بعلم هذا النظم من اعتنى بحفظ الفاظه وفهم معانيه

قال الشيخ العلامة ابراهيم البيجوري في " فتح رب البرية " : وقيّد - الناظم - بفهم معانيه لان مجرد حفظ الفاظه لا يجدي نفعا . انتهى

لان الحفظ وسيلة لا غاية كما قال الاستاذ السيد بن حسن الديب : في " الحوار " : الحفظ وسيلة نتوصل من خلالها لتثبيت الفائدة اوّلا ثم ننتقل للفهم , فالحفظ بدون فهم لا قيمة له ثم يأتي بعد ذلك تطبيق الطالب لما فهمه في قراءته وكتابته

.____

< 1 > عن انس رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا يعني ورجل قائم يصلي فلما ركع وسجد وتشهد فقال في دعائه : اللهم اني أسألك بأن لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام يا حي ياقيوم اني أسئلك , فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأ صحابه تدرون بما دعا قالوا الله ورسوله اعلم , قال : والذي نفسي بيده لقد دعا الله باسمه الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل اعطي . اخرجه ابو داوود والنسائي

قال الشيخ العلامة شرف الحق العظيم أبادي في عون المعبود : المنان اي كثير العطاء من المنة بمعنى النعمة , والمنة مذمومة من الخلق لانه لا يملك شيأ

قال ابن القيم في " الشفاء العليل " ما ملخصه : وليست المنة في الحقيقة الا لله فهو المن بفضله , واهل سمواته واهل ارضه في محض منته عليهم , فلو اتى العباد بكل طاعة وكانت انفسها كلها طاعات لله لكانوا في محض منته وفضله وكانت له المنة عليهم وكلما عظمت طاعة العبد كانت منة الله عليه اعظم فهو المن بفضله , فمن انكر منته فقد انكر احسانه . انتهى

ورأيت في كتاب " التفسير القيّم للامام ابن القيّم " ما نصّه : حظر الله على عباده المنّ بالصنيعة , واختصّ به صفة لنفسه لانه من العباد تكدير وتعيير , ومن الله سبحانه افضال وتذكير , وايضا فانه هو المنعم في

تفس الامر , والعباد وسائط فهو المنعم على عبده في الحقيقة , وايضا فالامتنان استعباد وكسر واذلال لمن منّ عليه ولا تصلح العبودية الا لله , وايضا فالمنة ان يشهد المعطي انه رب الفضل والانعام وانه ولي النعمة ومسديه , وليس ذلك الا لله , وايضا فالمانّ بعطاءه يشهد نفسه مترفعا على الاخذ , مستعليا عليه غنيا عنه عزيزا , ويشهد ذلّ الاخذ وحاجته اليه وفاقته ولا ينبغي ذلك للعبد . وايضا فالمعطي قد تولى الله ثوابه وردّ عليه اضعاف ما اعطى فبقي عوض ما اعطى عند الله , فأي حق بقي له قبل الاخذ , فاذا امتن عليه فقد ظلمه ظلما بينا وادعى أن حقه في قبله , ومن هنا - والله اعلم - بطلت صدقته بالمنّ فانه لما كانت معاوضته ومعاملته مع الله وعوض تلك الصدقة عنده فلم يرض به , ولاحظ العوض من الاخذ والمعاملة عنده فمنّ عليه بما اعطاه بطلت معاوضته مع الله ومعاملته له فتأمل هذه النصائح من الله لعباده ودلالته على ربوبيته والهيته وحده , وانه يبطل عمل من نازعه في شيء في ربوبيته والهيته لا اله غيره ولا رب سواه . انتهى

(تعريف الرياء)

< 2 > الرياء في اللغة : مشتق من الرؤية

واما في الاصطلاح فقد ذكر اهل العلم ان له تعريفات متعددة الا انه وان اختلفت عباراتهم فيها , فان مدارها على امرين : الاول : ارادة غير الله من دون الله , والثاني ارادة غير الله مع الله

قال الامام الفقيه شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمي في " الزواجر عن اقتراف الكبائر " : قد شهد بتحريمه – اي الرياء – الكتاب والسنة وانعقد عليه اجماع الامة

اما الكتاب فمنه قوله عز وجل قائلا : (الذين يرائون)

- قال الشيخ محمد علي الصابوني في" صفوة التفاسير" في تفسير قوله تعالى : الذين يرائون :اي يصلون امام الناس رياء ليقالوا : انهم صلحاء , ويتخشعون ليقالوا : انهم اتقياء , ويتصدقون ليقالوا : انهم كرماء , وهكذا سائر الاعمال للشهرة والرياء –

ثم قال شيخ الاسلام ابن حجرالهيتمي في " الزواجر عن اقتراف الكبائر " : واما السنة فمنها ما رواه الامام احمد : ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر الرياء يقول الله يوم القيامة اذا جزي الناس باعمالهم : اذهبوا الى الذين كنتم ترائون في الدنيا انظروا هل تجدون عندهم , وما رواه البخاري : من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به .

والاخبار الواردة في ذم الرياء لا تحصر فعلى المؤمن ان يجتهد في دفع الرياء عن نفسه وان لا يكون له نية ولا قصد في جميع طاعته وعباداته الا التقرب الى الله وطلب ثواب الاخرة , فبذالك يخلص من الرياء ويسلم من شره وبليته ان شاء الله تعالى

قال شيخ الاسلام الامام حجر الهيتمي في " الزواجر عن اقتراف الكبائر " المعنى في تحريمه وكونه كبيرة وشركا مقتضيا للعن ان فيه استهزاء بالحق , ومن ثم كان الرياء من كبائر المهلكة ولذالك سماه الرسول صلى الله عليه وسلم : (الشرك الاصغر) وفي الرياء ايضا تلبيس على الخلق لايهام المرائي لهم انه مخلص مطلع لله تعالى وهوبخلاف ذالك

اذا اطلق لفظ الرياء شرعا فالمراد الرياء المذموم (وحد الرياء المذموم ارادة العامل بعبادته غير وجه الله كأن يقصد اطلاع الناس على عبادته وكماله ختى يحصل منهم نحو مال او جاه او ثناء) , وقد يطلق الرياء على امر مباح وهو طلب نحو الجاه والتوقير بغير العبادة , كان يقصد بزينة لباسه الثناء عليه بالنظافة والجمالة ونحو ذالك وقس على ذالك ما اشبهه من كل تجمل وتزين وتكرم لاجل الناس , ووجه عدم حرمة هذ انه ليس فيه ما في الرياء المحرم من التلبيس بالدين والاستهزاء برب العالمين , وقد كان صلى الله عليه

وسلم , اذا اراد الخروج سوى عمامته وشعره ونظر وجهه في المراة , فقالت عائشة رضي الله عنها : او تفعل ذالك يا رسول الله ؟ , فقال : نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم . نعم هذا منه صلى الله عليه وسلم عبادة متأكدة لانه مأمور بدعوة الخلق واستمالة قلوب الخلق ما امكن , اذ لو سقط من اعينهم لاعرضوا عنه فلزمه ان يظهر لهم محاسن احواله لئلا يزدروه فيعرضوا عنه لامتداد اعين عامة الخلق الى الظواهر دون السرائر , فهذا قصده صلى الله عليه وسلم وفيه قربة اي قربة , ويجري ذالك في العلماء ونحوهم اذا قصدوا بتحسين هيئاتهم نحو ذالك . انهى

قال الشيخ العالم العلامة محمد علي بن محمد علان في " في الفتوحات الربانية على الاذكار النواوية " : وهذا وقع للعز ابن عبد السلام انه لما كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو محرم لا يمتثل منه , فلما احل ولبس لباس العلماء امتثل منه , فمن تزين من اهل العلم بزينتهم لذلك اثيب , فالاعمال بمقاصدها .

(المرائ به)

ولنعلم ان المرائ به كثير يجمعه خمسة اقسام لنحاسب انفسنا لا لنحكم بسرائر غيرنا .

الاول : الرياء في الدين بالبدن كاظهار النحول , والصفار, وتشعيث الشعر , ليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وعظيم الحزن بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر

والثاني : الرياء بالهيئة والزي كاطراق الرأس في المشي , والهدوء في الحركة , وابقاء اثر السجود على الوجه , وغلظ الثياب , وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا , ولبس المرقعة

والثالث : الرياء بالقول كالنطق بالحكمة , وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس , والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق , واظهار الغضب للمنكرات , واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصي , وتضعيف الصوت في الكلام , وترقيق الصوت قراءة القران , ليدل بذالك

على الخوف والحزن وكذم الانسان نفسه بين الناس يريد بذالك ان يرى انه متواضع عند نفسه فيرتفع بذالك عندهم ويمدحونه به . و قال القطب الرباني الامام عبد الوهاب الشعراني في " تنبيه المغترين " : وكان الحسن البصري رحمه الله يقول : من ذم نفسه في الملا فقد مدحها وذالك من علامات الرياء .

والرابع : الرياء بالعمل كمراءة المصلي بطول القيام والسجود والركوع وترك الالتفات واظهار السكون وتسوية القدمين واليدين , وكذالك في الصوم او الحج والصدقة واطعام الطعام

والخامس : المراءة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يكلف ان يستزير عالما او عابدا او مالكا او عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدنيا , وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي شيوخا كثيرة , واستفاد منهم فيتباهى بشيوخه .

(مضار الرياء)

- الرياء يورث الخوف والغم وضيق الصدر وظلمة القلب

- الرياء يبعد العبد عن الرب جل وعلا فان المرائي يراقب الناس ولا يراقب الرقيب على الناس ويخشى الناس ولا يخشى المقتدر على الناس ويتزين للناس و ينسى الكريم على الناس والمرائي لا يلاحظ نظر من هو اقرب من حبل الوريد ويلاحظ نظر غيره من البعيد , ولا يلتفت الى استحسان خالقه ومولاه ويلتفت الى استحسان اقربائه واحبائه واعدائه فالمرائي مذموم عند الله لانه بعيد عنه , فأي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم واي شر لك من ذم الناس وانت عند الله محمود .

- الرياء مهلك لان اصل الرياء - كما قال الامام الغزالي - حب الجاه وحب الجاه من الهوى المتبع وفيه هلك اكثر الناس فما اهلك الناس الا الناس .

- الرياء يحجب الكرامة , قال السيد عبد االرحمن بن محمد بن حسين بن عمر المشهور باعلوي في " بغية المسترشدين " : قال الامام النووي : انما لم يظهر على العلماء كرمات كالعباد مع انهم افضل منهم لما يدخل عليهم من الرياء

- الرياء محبط للاعمال مضيع للثواب , قال حجة الاسلام الامام الغزالي في " بداية الهداية " : وهي - اي المراءة - محبطة للاعمال مضيع للثواب كما ورد في الخبران الشهيد يؤمر به يوم القيامة ال الناء فيقول : يا رب استشهدت في سبيلك فيقول الله اردت ان يقال فلان شجاع وقد قيل ذالك , ذالك اجرك وكذا يقال للعالم والحاج والقارئ

قال الامام العلامة الفقيه عبد القادر بن احمد الفاكهي في " الكفاية شرح بداية الهداية " : وروى المصنف - اي الامام الغزالي - هنا لفظه بالمعنى .

(اصل الرياء واسبابه وعلاجه)

وقد فصل حجة الاسلام الامام الغزالي ثلاثة اسباب للرياء , واختصر كلامه الامام االشيخ احمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي في " مختصر منهاج القاصدين " فقال : اعلم ان اصل الرياء حب الجاه والمنزلة , واذا فصل رجع الى ثلاثة اصول وهي : حب لذة الحمد والفرار من الم الذم والطمع فيما في ايدي الناس

ويشهد لذالك ما في الصحيحين من حديث ابي موسى رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم , فقال يا رسول الله ارايت الرجل يقاتل شجاعة , ويقاتل حمية ويقاتل رياء , فاي ذالك في سبيل الله , فقال : من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

فمعنى قوله يقاتل شجاعة اي ليذكر ويحمد , ومعنى قوله يقاتل حمية اي يأنف ان يقهر او يذم , ومعنى : يقاتل رياء : ليرى مكانه وهذا هو لذة الجاه والمنزلة في القلوب

وقد لا يشتهي الانسان الحمد ولكنه يحذر من الذم كالجبان بين الشجعان فانه يثبت ولا يفر لئلا يذم , و قد يفتي الانسان بغير علم حذرا من الذم بالجهل , فهذه الامور الثلاثة هي تحرك الى الرياء . انتهى

ثم ذكر علاج ذالك : فقال : وعلاجه ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب فيه اذا ظن انه خير له ونافع اما في الحال او المال , فان علم انه لذيذ في الحال وضار في المال , سهل عليه اجتنابه وقطع عنه الرغبة , كمن يعلم ان العسل لذيذ ولكن اذا بان ان فيه سما اعرض عنه , فكذالك طريق هذه الرغبة ان تعلم ما فيها من المضرة , فان الانسان متى عرف مضرة الرياء وما يفوته من صلاح قلبه ومن المنزلة في الاخرة , وما يتعرض له من العذاب والمقت والخزي , هذا مع ما يتعرض له في الدنيا من تشتت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق , فان رضى الناس غاية لا تدرك فكل ما يرضى به فريق يسخط به فريق , ومن طلب رضىهم في سخط الله سخط الله عليه واسخطهم عليه , ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله له لاجل مدحهم ؟ , ولا يزيد مدحهم رزقا ولا اجلا , ولا ينفعه يوم فقره وفاقته , وكذالك ذمهم لم يحذر منه ؟ , ولا يضر ذمهم شيئا ولا يعجل اجله ولا يؤخر رزقه فان العباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ,و لا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا , فاذا قرر هذا في نفسه فترت رغبته في الرياء , واقبل على الله تعالى بقلبه , فان العاقل لا يرغب فيما يضره ويقل نفعه , واما الطمع بما في ايدي الناس فيزيله بان يعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء , وانه لا رازق سواه , ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل من المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم فاسد , ومن الدواء النافع ان يعود نفسه اخفاء العبادات , واغلاق الابواب دونها , كما تغلق الابواب دون الفواحش , فانه لا دواء في الرياء مثل اخفاء الاعمال , وذالك يشق في بداية المجاهدة , فاذا

صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله , وامده الله بالعون فعلى العبد المجاهدة ومن الله التوفيق .

انتهى

ومن الدواء النافع ايضا لزوم باب التضرع والاكثار من اللجوء الى الله تعالى ودعائه ان يصرف هذه الافة الماحقة عن القلب وبخاصة هذا الدعاء الجليل الذي علمنا اياه رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم انا نعوذ بك شيأ نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه . رواه احمد في مسنده , وقد كان من دعاء عمر رضي الله عنه : اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعل لوجهه خالصا ولا تجعل لاحد فيه شيأ .

ومنه ايضا قراءة اخبار الصالحين المخلصين وسيرهم فان ذلك مما يبعث على التشبه بهم واقتفاء أثارهم .

رأيت في " في كتاب صفة الصفوة للامام ابن الجوزي " ما نصه : عن منير مولى الفضل بن ابي عياش : كنت جالسا مع وهب بن منبه فأتاه رجل فقال : اني مررت بفلان وهو يشتمك , فغضب فقال : ما وجد الشيطان رسولا غيرك , فما برحت من عنده حتى جاءه ذلك الرجل الشاتم فسلم على وهب , فردّ ليه ومدّ يده وصافحه وأجلسه الى جنبه .

قلت : ينبغي في هذا الزمان نشر الخير مقاومة لانتشار الشرّ بنية خدمة الاسلام والمسلمين , فان طرأ له خاطر رياء فيلدفعه ويسأل الله ان يجيره منه , فنرجو من نشر الخير ان يهتدي ويوفّق كثير من الناس وان يجري ثواب هذا العمل لصاحبه .

(الفرق بين الرياء الجلي والرياء الخفي)

وهو- اي الرياء - قسمان

1 - جلي

عرفه الامام الفقيه المجتهد شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمي في " الزواجر عن اقتراف الكبائر " بانه : ما يحمل على العمل ويبعث عليه

وعرفه الشيخ العالم العلامة محمد نواوي الجاوي البنتني في " النهجة الجيدة " بانه : ان يفعل الطاعة بحضرة الناس لا غير فان خلا بنفسه لا يفعل شيئا .

2 - وخفي

عرفه الامام الفقيه المجتهد شيخ الاسلام ابن حجر الهيتمي في " الزواجر عن اقتراف الكبائر " بانه : ما لا يحمل عليه ولكن يخفف مشقته .

وعرفه الشيخ العالم العلامة محمد نواوي الجاوي البنتني في " النهجة الجيدة " بانه : ان يفعلها مطلقا حضر الناس او لا لكن يفرح عند حضورهم .

كمن يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا نزل عند ضيف نشط له وخف عليه وفرح .

قال الامام النووي في " بستان العارفين " شارحا لقول الامام الشافعي (لا يعرف الرياء الا مخلص) : يعني لا يتمكن في معرفة حقيقته والاطلاع على غوامض خفياته الا من اراد الاخلاص , فانه يجتهد ازمانا في مطاولة البحث والفكر والتنقيب عنه , حتى يعرفه او يعرف بعضه ...

ومن الرياء الخفي كذالك ان يخفى العبد طاعاته ولكن اذا راى الناس احب ان يقابلواه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه , وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحواه في البيع والشراء , وان يوسعوا له المكان , فان قصر مقصر ثقل ذالك على قلبه

ولم يزل المخلصون خائفين من الرياء الخفي يجتهدون في اخفاء طاعاتهم اعظم مما يحرص الناس على اخفاء فواحشهم كل ذالك رجاء ان تخلص اعمالهم الصالحة فيجازيهم الله يوم القيامة باخلاصهم , اذا علموا انه لا يقبل يوم القيامة الا الخالص , وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيامة .

فاخفاء العبادات هو علاج الرياء واسرار الاعمال هو ثمرة الاخلاص فكان السلف ومن تبعهم رحمهم الله يخفون اعمالهم حتى عن اهليهم خشية الرياء والنفاق وغيرهما من امراض القلوب التي يدخل عن طريقها الشيطان ليفسد عليه ثواب اعماله الصالحة

قال الامام الذهبي في " سير اعلام النبلاء " : قال الفلاس : سمعت ابن عدي يقول : صام دوود ابن ابي هند اربعين سنة لا يعلم به اهله , وكان خزازا يحمل معه غذاءه فيتصدق به في الطريق (ويرجع عشيا فيفطر معهم) , قال الشيخ ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي في " المدهش " يظن اهل السوق انه قد اكل في البيت ويظن اهله انه قد اكل في السوق

قال الشيخ ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي في " المدهش " كان ابن سرين يتحدث بالنهار ويضحك , فاذا جاء الليل اخذ في البكاء والعويل , وقال في " تلبيس ابليس " : فكأنما قتل اهل قرية .

قال مولانا عبد الوهاب الشعراني في : " تنبيه المغترين " وقد كان ابو السائب رحمه الله اذا طرقه بكاء في سماع القران او حديث او نحو ذلك يصرفه الى التبسم

وقال مولانا عبد الوهاب الشعراني في " تنبيه المغترين " : وكان ابراهيم بن ادهم يقول : لا تسأل اخاك عن صيامه , فانه ان قال انا صائم فرحت نفسه بذالك , وان قال : انا غير صائم حزنت نفسه وكلاهما من علامات الرياء , وفي ذالك فضيحة للمسئول , واطلاع عل عورته من السائل

(اقسام الرياء)

الرياء ينقسم الى قسمين :

القسم الاول : الرياء باصول العبادات وهو الاغلظ وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الاولى : الرياء بأصل الايمان وهو اغلظ ابواب الرياء وصاحبه مخلد في النار, وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه التكذيب ولكنه يرائي باظهار الاسلام

الدرجة الثانية : ان يكون مصدقا بالله ولكنه يرائي بالصلاة والزكاة والصوم , فهذا دون الاول , فهو يصلي اذا كان في ملأ من الناس واذا خلا تركها , وهكذا حال الزكاة يخرجها رياء ويصوم في ظاهر الحال فاذا خلا اراد الافطار واحبه .

الدرجة الثالثة : لا يكون مرائيا بالايمان ولا بالفرائض ولكنه يرائي بالنوافل والسنن التي لو تركها لا يعصي , ولكنه يكسل في الخلوة ويظهرها للناس فهذا هو الرياء باصولها .

القسم الثاني : الرياء باوصاف العبادات لا باصولها وخو ايضا على ثلاث درجات :

الدرجة الاولى : ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف الركوع والسجود ولا يطول القراءة فاذا راها الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات يمينا وشمالا وتمم القعود بين السجدتين

الدرجة الثانية : ان يرائي يفعل ما لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد القيام بتطويل القراءة فيه وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى تكبيرة الاحرام مع الامام وتحسين الاعتدال والزيادة في القراءة على السورة المعتادة وكل ذالك مفقود عند الخلوة فهذا هو الرياء

الدرجة الثالثة : ان يرائي بزيادة خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضورالمساجد قبل الناس فيصير في الصف الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراها , وكل ذالك مما يعلم الله منه انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ولا اي وقت حضر ؟ , فهذه درجات الرياء بالاضافة الى ما يرائي به وبعضهم اشد من بعض , والكل مذموم .

وللمرائي لاجله درجات ايضا :

الدرجة الاولى : وهي اشدها وغلظها ان يكون مقصوده التمكن من معصية الله عز وجل كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع من اكل الشبهات وغرضه ان يعرف بالامانة عندهم حتى يولى منصب القضاء والاوقاف والوصايا ومال الايتام ويأخذها ويأكلها

الدرجة الثانية : نيل حظ مباح من الدنيا من مال او نكاح او امرأة جميلة او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكاء , ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال وترغب في نكاحه النساء كالذي يرغب في نكاح بنت عالم فيظهر له العلم والزهادة والعبادة ليؤغب في تزويج ابنته , فهذا رياء محظور لانه طلب بطاعة الله عز وجل امرا متاع الحياة الدنيا ولكنه دون الاول , فان المطلوب بهذا مباح في نفسه

الدرجة الثالثة : ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او نكاح ولكن يظهر عبادته خوفا من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والعباد ويعتقد انه من جملة العامة كالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن

المشي ويظهر التؤدة ويترك العجلة , كيلا يقولوا انه من اهل العجلة لا من اهل الوقار , فهذه درجات المرائي به .

(فائدة)

قال الشيخ العلامة عبد الله بن محمد النبراوي الشافعي في " عروس الافراح " : العمل اما رياء محض او مشوب به وهذان لا ثواب فيهما بل يحرمان , ومثلهما في عدم الثواب فقط ما اذا تمحض لغرض دنيوي كالجهاد لمحض الغنيمة , اما اذا لم يتمحض للغرض المذكور كالجهاد لها ولاعلاء كلمات الله ففيه الثواب (بقدر نيته لكن نقص) ومن عقد عملا ثم طرأ به خاطر رياء فان دفعه لم يضر اجماعا , وان استرسل معه ففيه خلاف 1, ومحله في عمل يرتبط أخره بأوله كالصلاة والحج

اما غيره كالقراءة فلا اجر فيما بعد حدوث الرياء , ولو تم عمله خالصا فأثنى عليه ففرح لم يضرّ .

ولنقتصر على هذا المقدار من الكلام على شرح مقدمة نظم العمريطي فان فيه كفاية ان شاء الله .

---

1 - قال الامام ابن حجر الهيتمي في الفتح المبين : والذي رجحه احمد وجماعة من السلف ثوابه بنيته الاولى

الحمد لله بعونه وفضله تمّ شرح هذه المقدمة والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة هاد الأمة وعلى اله واصحابه ومن تبعه باحسان الى يوم القيامة

فهرس موضوعات الكتاب

التمهيد..2
ترجمة الامام العلامة الفقيه الناظم..3
مقدمة الشرح 7
(بسم الله الرحمن الرحيم) 9
الكلام على البسملة..9
(وجوه اعراب البسملة) 9
(اختلاف العلماء في اعراب الرحمن في البسملة) 14
(معنى البسملة) 17
(حظ العبد من هاتين الاسمين العظيمين الرحمن والرحيم) 18
(الرحمة النبوية) 18
(لماذا ابتدأ الناظم منظومته بالبسملة ؟) 20
(الحمد لله الذي قد وفّق للعلم خير خلقه وللتقى) 23
(أيّهما يقدّم علوم المقاصد ام علوم الوسائل ؟) 25
(لماذا الناظم جمع بين العلم والتقوى في البيت ؟)..25
(من هم خير خلق الله)..26
(فاشربت معنى ضمير الشأن فأعربت في الحان بالالحان) 28
(صح انكار الفقيه على الصوفي ولا عكس)..34
(اين الوصول ؟!) 36
(ثم الصلاة مع سلام لائق على النبي افصح الخلائق)..37
(نبينا محمد صلى الله عليه وسلم افصح الخلق على لاطلاق) 38
(محمد والال والاصحاب من اتقنوا القران بالاعراب)..40
(من هم ال النبي) 43
(محبة اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) 44
(تعريف الصحابة)..45
(شرح تعريف الصحابة) 45
(مراتب الصحابة) 50
(لا يعلم عدة الصحابة الا الله) 51

51..(احترام الصحابة والادب معهم)
52..(الباعث على تدوين النحو)
54..(اختلفت الروايات في وضع النحو)
61..(براعة الاستهلال في المقدمة)
62..(وبعد فاعلم انه لما اقتصر جل الورى على الكلام المختصر)
63..(وكان مطلوبا أشد الطلب من الورى حفظ اللسان العربي)
63..(كي يفهموا معاني القران والسنة الذقيقة المعاني)
63..(والنحو اولى اولا أن يعلم اذ الكلام دونه لن يفهم)
69..(وكان خير كتبه الصغيرة كراسة لطيفة شهيرة)
69..(في عربها وعجمها والرومي الّفها الحبر ابن أجروم)
69..(وانفعت اجلة بعلمها مع تراه من لطيف حجمها)
70..(ترجمة الامام ابن أجروم الصنهاجي)
79..(نظمتها نظما بديعا مقتدي بالاصل في تقريبه للمبتدي)
79..(وقد حذفت منه ما عنه غنى وزدته فوائدا بها الغنى)
79..(حتى نحت قلوبهم لنحوه فمن عظيم شأنه لم تحوه)
79..(متمما لغالب الابواب فجاء مثل الشرح للكتاب)
81..........(قد قال الناظم ان هذه المنظومة كاصلها في تسهيله للمبتدي فلماذا يستصعبها الطلاب ؟)
82..(سئلت فيه من صديق صادق يفهم قولي لاعتقاد واثق)
82..(اذ الفتى حسب اعتقاده رفع وكل من لم يعتقد لم ينتفع)
84..(حكم انتقاد العلماء)
84..(حكاية نفيسة في حسن الاعتقاد)
85..(الفرق بين الصاحب و الصديق والخليل والحبيب)
86..(فنسأل المنان ان يجيرنا من الرياء مضاعفا اجورنا)
86..(وان يكون نافعا بعلمه من اعتنى بحفظه وفهمه)
88..(تعريف الرياء)
90..(المرائ به)
91..(مضار الرياء)

(اصل الرياء واسبابه وعلاجه) 92

(الفرق بين الرياء الجلي والرياء الخفي)..95

(اقسام الرياء) 97

(فائدة) 99